الفصـل الرابـع
الإعجازفى ضوء علم البيـان

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الرابع

الإعجازفى ضوء علم البيان

ويحتوى على

تمهيد

وفيه

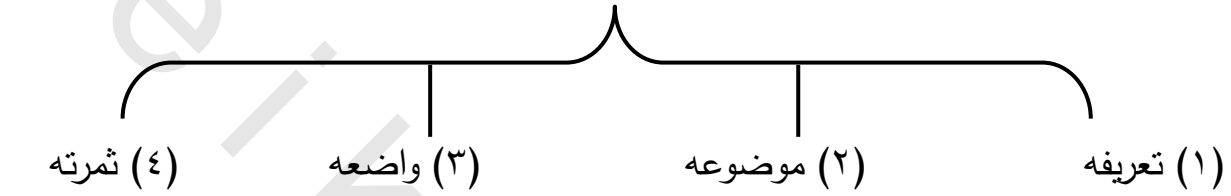

و أربعة مباحث

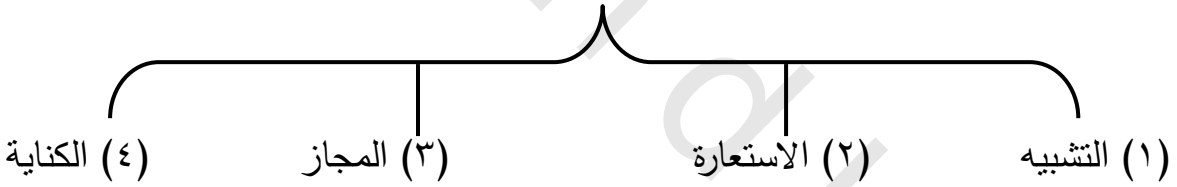

obeikan.com

تمهـيد

(١) تعريف علم البيان :

البيان لغةً :

مَا بُيِّنَ بِهِ الشيءُ مِنَ الدِّلالَةِ وغيرِها. وبانَ الشيءُ بَياناً **:**اتَّضَح، فَهُوَ بَيِّنٌ، وَالْجَمْعُ أَبْيِناءُ، مِثْلُ هَيِّنٍ وأَهْيِناء، وَكَذَلِكَ أَبانَ الشيءُ فَهُوَ مُبينٌ؛ قَالَ الشَّاعِرُ**:**

لَوْ دَبَّ ذَرٌّ فوقَ ضاحِي جلدِها، **...**لأَبانَ مِنْ آثارِهِنَّ حُدورُ [١] ، يقال : فلان أبين من فلان ، أى: أوضح منه كلاماً .

واصطلاحًا :

علم يستطاع بمعرفته إبراز المعنى الواحد فى صور مختلفة ، وتراكيب متفاوتة فى وضوح الدلالة ، مع مطابقة كل منها مقتضى الحال[٢]

ماهية البيان عند الجاحظ

قال الجاحظ : والدلالة الظاهرة على المعنى الخفى هو البيان الذى سمعت الله ﷻ يمدحه ويدعو إليه ويحث عليه ، بذلك نطق القرآن وبذلك تفاخرت العرب وتفاضلت أصناف العجم [٣]

ويعقب الدكتور مختار عطية على التعريف بقوله :

ويدل هذا التعريف عند الجاحظ على أن كلّ دلالةٍ بيانٌ ، لأن الغاية عنده هى الفهم والإفهام [٤]

تعريف الجاحظ للبيان

ويعرف الجاحظ البيان بقوله : اسم جامع لكل شىء كشف لك قناع المعنى ، وهتك الحجاب دون الضمير ، حتى يفضى السامع إلى حقيقته ، ويهجم على محصوله كائناً ما كان ذلك البيان ، ومن أى جنس كان الدليل ، لأن مدار الأجر والغاية التى إليها يجرى القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام بأى شىء بلّغت الإفهام ، وأوضحت عن المعنى ، فذلك هو البيان فى ذلك الموضع . [٥]

ويعقب أستاذنا الدكتور مختار عطية على هذا التعريف الطويل فيقول : والجاحظ هنا – ولا شك – ملتفت إلى المعنى اللغوى للبيان ، الذى هو عندهم انكشاف الأمر ووضوحه ، يقال : فلان

---

(١) ابن منظور – لسان العرب– النون فصل الباء الموحدة (٣ / ٦٧) .

(٢)المراغى – علوم البلاغة – ص (٢٠٧/١)

(٣)الجاحظ – البيان والتبيين – دار ومكتبة الهلال . بيروت . ط : ١٤٢٣ هـ . (١ /٨١) .

(٤) د. مختار عطية – علم البيان وبلاغة التشبيه فى المعلقات السبع – دار الوفاء – الإسكندرية – ٢٠٠٤ – ص (١٥)

(٥) الجاحظ – السابق – (١ /٨١) .

openkanal.com

أبين من فلان ، أى : أوضح منه وأوضح بياناً ، وقد ورد فى الحديث : " إن من البيان لسحراً " لما فيه من قوة الحجة والإقناع وشدة الوقع فى النفس . [١]

ويعرف السكاكى علم البيان بقوله : علم البيان : هو معرفة إيراد المعنى الواحد في طرق مختلفة بالزيادة في وضوح الدلالة عليه وبالنقصان ، ليحترز بالوقوف على ذلك عن الخطأ في مطابقة الكلام لتمام المراد منه وفيما ذكرنا ما ينبه على الوقف على تمام مراد الحكيم تعالى وتقدس من كلامه مفتقر على هذين العلمين كل الافتقار، فالويل كل الويل لمن تعاطى التفسير وهو فيهما راجل. ولما كان علم البيان شعبة من علم المعاني لا تنفصل عنه إلا بزيادة اعتبار جرى منه مجرى المركب من المفرد لا جرم آثرنا تأخيره . ([٢])

ويعرف ابن الناظم البيان بقوله : البيان : هو معرفه إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة بالزيادة فى وضوح الدلالة والنقصان ، ليحترز بذلك عن الخطأ فى مطابقة الكلام لتمام المراد منه [٣]

يقول الدكتور مختار عطية : وهو بهذا الحد يذهب إلى أن علم البيان يقصد منه الاحتراز عن التعقيد المعنوى ، فلا يطلب فيه إلا وضوح الدلالة[٤]

(٢) موضوعه : اللفظ العربى ، من حيث التفاوت فى وضوح الدلالة بعد رعاية مطابقة مقتضى الحال [٥] ، وبتعبير آخر : موضوعه : الألفاظ العربية من حيث التشبيه والمجاز والكناية . [٦]

(٣) واضعه : " أبو عبيدة " الذى دوّن مسائل هذا العلم فى كتابة المسمّى " مجاز القرآن " ، ومازال ينمو شيئاً فشيئاً ، حتى وصل إلى الإمام " عبد القاهر " فأحكم أساسه ، وشيّد بناءه ، ورتّب قواعده ، وتبعه " الجاحظ " وابن المعتز ، وقدامة ، وأبو هلال العسكرى . [٧]

(٤) ثمرته: الوقوف على أسرار كلام العرب : منثوره ومنظومه ، ومعرفة ما فيه من تفاوت فى فنون الفصاحة ، وتباين فى درجات البلاغة التى يصل بها إلى مرتبة إعجاز القرآن الكريم ، الذى حار الجن والإنس فى محاكاته ، وعجزوا عن الإتيان بمثله . [٨]

المبحث الأول

---

(١) د. مختار عطية – السابق – ص (١٧)

(٢) انظر: السكاكى . مفتاح العلوم . (١ / ١٦٢) .

(٣) ابن الناظم – المصباح – تحقيق : د. حسنى عبد الجليل . مكتبة الآداب . مصر . د. ت . (١٢١)

(٤) د. مختار عطية – علم البيان – (١٧)

(٥) المراغى – علوم البلاغة – (١ / ٢٠٨)

(٦) الهاشمى – جواهر البلاغة – (١٨٢)

(٧) الهاشمى – نفسه – (١٨٢) – وانظر : المراغى – علوم البلاغة (١ /٢٠٩)

(٨) الهاشمى – نفسه – (١٨٢)

التشبيه

(أولاً) تعريفه : لغةً : " الشِّبْهُ، بالكسر والتَّحْريكِ وكأميرٍ: المِثْلُ ، ج: أشْباهٌ ، وشابَهَهُ وأشْبَهَهُ: ماثَلَهُ ". [١]

واصطلاحاً : عرّفه السكاكى بأنه : الدلالة على مشاركة أمرٍ لأمرٍ فى صفة ، وهاكَ نصَّ كلامه : لا يخفى عليك أن التشبيه مستدعٍ طرفين مشبهاً ومشبهاً به واشتراكاً بينهما من وجه وافتراقاً من آخر مثل أن يشتركا في الحقيقة ويختلفا في الصفة أو بالعكس. فالأول كالإنسانين إذا اختلفا صفة طولاً وقصراً، والثاني كالطويلين إذا اختلفا حقيقة إنساناً وفرساً وإلا فأنت خبير بأن ارتفاع الاختلاف من جميع الوجوه حتى التعين يأبى التعدد فيبطل التشبيه لأن تشبيه الشيء لا يكون إلا وصفاً له بمشاركته المشبه به في أمر . [٢] وهو تعريف القزوينى نفسه الذى ذكره الدكتور مختار عطية فى كتابه علم البيان . [٣]

وعرّف ابن أبى الإصبع حدّه فى قوله : وحدّ التشبيه البليغ إخراج الأغمض إلى الأظهر بالتشبيه مع حسن التأليف .[٤]

وذكر السيوطى عن بعضهم : هو إلحاق شيء بذى وصف فى وصفه .

وقال بعضهم : هو أن تثبت للمشبه حكماً من أحكام المشبه به[٥]

وعرفه قدامة بن جعفر بقوله : التشبيه يقع بين شيئين بينهما اشتراك فى معانٍ تعمهما ، ويوصفان بها ، وافتراقٌ فى أشياء ينفرد كل واحد منهما عن صاحبه بصفتها ، وإذا كان الأمر كذلك ، فأحسن التشبيه هو ما وقع بين الشيئين اشتراكهما فى الصفات أكثر من انفرادهما فيها ، حتى يدنى بهما إلى حال الاتحاد . [٦]

---

(١) الفيروز آبادى – القاموس المحيط – باب الهاء فصل الشين – (١ / ١٢٤٧) .

(٢) انظر : السكاكى – مفتاح العلوم .(١ / ٣٣٢) ، وانظر : السيوطى – الإتقان – (٣٥٦)

(٣) د. مختار عطية – علم البيان – (٢٧)

(٤) انظر : ابن أبى الأصبع –تحرير التحبير . تحقيق : حفنى محمد شرف . دار إحياء التراث . الجمهورية العربية المتحدة . د . ت . (١ / ١٥٩) . وانظر : السيوطى – الإتقان – (٣٥٦)

(٥) انظر : السيوطى – الإتقان – (٣٥٦)

(٦) انظر : قدامه بن جعفر – نقد الشعر . مطبعة الجوالق . القسطنطينية . ١٣٠٢ هـ . (١ / ٣٧)

وعرفه ابن رشيق بقوله : التشبيه : صفة الشيء بما قاربه وشاكله من جهة واحدة أو جهات كثيرة ، لا من جميع جهاته ، لأنه لو ناسبه مناسبة كلية لكان إياه . (١)

وأفادنا تعريف ابن رشيق احترازاً ، وهو قيام المماثلة ما لم تصل إلى حد المطابقة

ثانيا : أدواته :

قال السيوطى – رحمه الله– : وأدواته : حروف وأسماء وأفعال .

فالحروف : الكاف نحو : " كرمادٍ " وكأن نحو : ﴿ كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴾ [الصافات / ٦٥]

والأسماء : مثل وشبه ونحوهما مما يشتق من المماثلة والمشابهة ، قال الطيبى ، ولا تستعمل "مثل" إلا فى حال أو صفة لها شأن ، وفيها غرابة ، نحو : ﴿ مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِى هَـٰذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾ [آل عمران/١١٧]

والأفعال : نحو : ﴿ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً ﴾ [النور /٣٩] ،﴿ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴾ [طه/٦٦] .

قال فى التلخيص إتباعاً للسكاكى : وربما يذكر فعل ينبئ عن التشبيه ، فيؤتى فى التشبيه القريب بنحو " علمت زيداً أسداً " الدال على التحقق ، وفى البعيد بنحو " حسبت زيداً أسداً " الدال على الظن وعدم التحقق .

وخالفه جماعة منهم الطيبى ، فقالوا :فى كون هذه الأفعال تنبئ عن التشبيه نوع خفاء ، والأظهر أن الفعل ينبئ عن حال التشبيه فى القرب والبعد ، وأن الأداة محذوفة مقدرة لعدم استقامة المعنى بدونه . (٢)

ثالثاً : غرضه :

ذكر السيوطى – رحمه الله – نحواً من ذلك فقال : والغرض منه :

١– تأنيس النفس بإخراجها من خفى إلى جلى ، وإدنائه البعيد من القريب ليفيد بياناً .

٢ – وقيل للكشف عن المعنى المقصود مع الاختصار (٣)

---

(١) انظر : ابن رشيق – العمدة – تحقيق : محمد محيى الدين عبد الحميد . دار الجيل . بيروت . ط٥ : ١٤٠١ هـ ١٩٨١ م . (١ / ٢٨٦)

(٢) انظر : السيوطى – الإتقان – ص (٣٥٦)

(٣) السيوطى – نفسه – ص (٣٥٦)

٣ – يقول الدكتور مختار عطية : فالتشبيه يقوم على إرادة المبدع إثبات صفة من الصفات لموصوف ما ، مع زيادة إيضاح أو مبالغة [١]

والذى يظهر لى – والله أعلم – أن الدكتور مختار عطية لم يحصر فوائد أو أغراض التشبيه فى الإيضاح أو المبالغة ، بل ربما دار كلامه حول الأصل أو الغالب فى التشبيه ، ولعل الذى يعضد ذلك كلامه ، عندما تكلم عن أغراض التشبيه ، فقال :

توقف علماء البيان عند أغراض التشبيه وفوائده ، وهى تتعلق فى معظمها بالمشبه ، كبيان إمكانه ، أو بيان حاله ، أو مقدار حاله ، أو تقرير حاله وتمكينه فى الذهن ، أو بيان إمكان وجوده أو مدحه وتحسينه ، أو ذمه وتشويهه ، أو استطرافه ، وهى دواعٍ لاكتها الألسن عبر العصور ، مرددةً إياها دون تمحيص بشواهد مكررة ، ونماذج ثابتة بما أثقل كاهل الدارس البلاغى القديم دون فائدة ، ولذا فقد أعرضنا عن ذكرها هنا ، لأنها لا تخضع لقاعدة أو قانون ، إنما يحكمها – ويحكم غيرها – النص الذى يرد فيه أسلوب التشبيه ، فيختلف الغرض وتتباين الأهداف فى كل نص عن الآخر . [٢]

رابعاً : المفاضلة بين أساليب التشبيه :

قال الهاشمى فى جواهر البلاغة : بعض أساليب التشبيه أقوى من بعض فى المبالغة ، ووضوح الدلالة ، ولها مراتب ثلاثة :

(أ) أعلاها وأبلغها : ما حُذِف فيها الوجه والأداة ، نحو :علىٌّ أسدٌ ، وذلك أنك ادعيت الاتحاد بينهما بحذف الأداة ، وادعيت التشابه بينهما فى كل شىء بحذف الوجه ، ولذا سُمِّى هذا تشبيها بليغاً .

(ب) المتوسطة : ما تحذف فيها الأداة وحدها ، كما تقول : علىٌّ أسدٌ شجاعة ، أو يحذف فيها وجه الشبه ، فتقول : علىٌّ كالأسد ، وبيان ذلك أنك بذكرك الوجه حصرت التشابه ، فلم تدع للخيال مجالاً فى الظن ، بأن التشابه فى كثير من الصفات ، كما أنك بذكر الأداة نصصت على وجود التفاوت بين المشبه والمشبه به ، ولم تترك باباً للمبالغة .

(ج) أقلها : ما ذكر فيها الوجه والأداة ، وحينئذٍ فقَدتْ المزيتين السابقتين [٣]

خامساً : نماذج تطبيقية من السورة :

قوله تعالى:﴿ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِى وَلَكَ ﴾ [القصص /٩] الآية بها تشبيه ضمنى

---

(١) د. مختار عطية – علم البيان – ص (٢٧)

(٢) نفسه – ص (٤٩)

(٣) الهاشمى – جواهر البلاغة – ص (٢٠٧)

وهو تشبيه لا يوضع فيه المشبه والمشبه به فى صورةٍ من صور التشبيه المعروفة ، بل يُلْمَح المشبه والمشبه به ، ويفهمان من المعنى، ويكون المشبه به دائماً برهاناً على إمكان ما أُسنِد إلى المشبه ، وذلك كقول المتنبي : **مَنْ يَهُنْ يَسْهُل الهوانُ عليه ** ما لجُرح بميّت إيلامُ** [1]
لمعرفة القيمة الإيحائية للتشبيه فى الآية ، يلزمنا الرجوع إلى المعنى اللغوى للفظ ، حتى تكتمل الصورة أمامنا .

(قَرّ) فى مكانه يَقِرُّ قَراراً : إذا ثبت ثبوتاً جامداً ، وأصله من القُرّ وهو البرد ، وهو يقتضى السكون ، والحرّ يقتضى الحركة ..... وقَرّت عينُهُ تَقَرُّ : سُرّتْ ، قال : " كى تقر عينها " وقيل لمن يُسَرُّ به قرة عين ، قال : " قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ "

وقوله : " هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين " ، قيل : أصله من القُرّ ، أى : البرد ، فَقَرّتْ عينه ، قيل : معناه بَرَدَتْ فَصَحَّتْ ، وقيل : بل لأن للسرور دمعة باردةً قارّةً وللحُزن دمعة حارة ، ولذلك يقال فيمنُ يدْعَى عليُه : أسخن الله عينه ، وقيل : هو من القرار ، والمعنى : أعطاه الله ما تسكن به عينه فلا يطمح إلى غيره . [2]

ومما سبق نستنتج أن القرار يفيد :

(١) الثبوت والجمود (٢) السكون (٣) التبرد

وكل ذلك يصب فى مصب واحد ، وهو السرور والدَّعَة والطمأنينة

فكأن المعنى : هو كقرة عينى لى ولك ، فأفاد التشبيه كون موسى عليه السلام قراراً وسكوناً لنفسها ، كما أن الجمال والحسن سَكَنٌ للعين تسر وتتفكه به ، وهذا مصداق لقوله تعالى:﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ﴾[طه/ ٣٩] ، وعبّرت بالعين عن النفس ، لأنها سبب تعلق النفس بالأشياء فالعلاقة سببية .

قوله تعالى :﴿ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ ﴾ [القصص /٣١]

هذا التشبيه طرفاه مذكوران ، فالمشبه : العصا ، والمشبه به : الجان ، وهو ذكر الحيات ، وأداة التشبيه : كأن ، ووجه الشبه : محذوف

---

(١) السابق – ص (٢٠٥)

(٢) انظر : الراغب – المفردات – مادة (قرّ) : ص (٣٩٨ –٣٩٩)

*** توصيف التشبيه من جهة طرفى التشبيه**

(١)	الحس والعقل	المشبه حسى والمشبه به عقلى
(٢)	الإفراد والتركيب	الطرفان مفردان مطلقان
(٣)	التعدد	لا يوجد تعدد

*** توصيف التشبيه من جهة الأداة : تشبيه مرسل**

*** توصيف التشبيه من جهة وجه الشبه**

(١)	تشبيه مجمل	لعدم ذكر وجه الشبه صراحةً ونصاً
(٢)	تشبيه تمثيلى	لأن وجه الشبه وإن كان مداره على مشبه به واحد وهو الجان ، إلا أنه متعدد الصفات ، وهذا ما يؤيده ابن كثير – رحمه الله– فى تفسيره إذ يقول : " فلما رآها تهتز " أى تضطرب " كأنها جان ولى مدبراً " أى : من حركتها السريعة ،مع عظم خلقتها وقوائمها ، واتساع فمها ، واصطكاك أنيابها وأضراسها بحيث لا تمر بصخرة إلا ابتلعتها تنحدر فى فيّها تتقعقع كأنها حادرة فى وادٍ .[١] يضاف إلى ذلك عظيم خطرها ، وقلة أو انعدام نفعها فى هذا المقام

*** القيمة الإيحائية للتشبيه والفوائد :**

(١) ذكر أداة التشبيه " كأن " فى هذا المقام أليق من حذفها ، وهذا على خلاف ما ذهب إليه البلاغيون ، لكن السياق من المقيدات ، واستخدام " كأن " فى هذا السياق ، دلّ على تمام المطابقة بين المشبه والمشبه به ، وأنهما كشىء واحد فيما يبدو للناظر، وجاء التعبير بأداة التشبيه " كأن " ، لأنه تعبير عما دار فى نفس نبى الله موسى عليه السلام ، وهو ما بدا له فى الظاهر مع سابق عهده أنها عصاه ، وهو ما دفعه إلى إثبات أداة التشبيه ، التى وإن أفادت ادعاء أن المشبه والمشبه به سواء ، فلا يزال الصارف من التطابق بينهما ثابتاً بالأداة وهذا يشبه إلى حدٍ بعيد موقف ملكة سبأ مع سليمان ، وذلك :

(أ) أنها لما رأت عرشها عند نبى الله سليمان عليه السلام قالت : ﴿ كَأَنَّهُ هُوَ ﴾ [النمل /٤٢] ، فعبّرت بـ " كَأَنَّ " لأنها عرفته ، لأن التنكير والتغيير لبعض معالمه لم يتعرض له بزيادة أو نقص ، فكان من ذكائها وفطنتها أنها لم تقل : " **إنه هو** " ، لوجود التغيير فيه والتنكير ، ولم تنفِ أنه

---

١ انظر : ابن كثير – تفسير القرآن العظيم – (٣/ ٤٠١)

هو ، لأنها عرفته ، فأتت بلفظ محتمل للأمرين ، صادق على الحالين. [1]، فكان حالها أشبه بحال موسى عليه السلام حيث استخدما الأداة " كأن " فى مقام إثبات المطابقة المشوبة بالشك أو الظن .

(ب) قال السيوطى : " كأن " حرف للتشبيه المؤكد ، لأن الأكثر عَنَى أنه مركب من كاف التشبيه وأنّ المؤكدة .... قال حازم : وإنما تستعمل حيث يقوى الشبه ، حتى يكاد الرائى يشك فى أن المشبه هو المشبه به أو غيره ، ولذلك قالت بلقيس ﴿ كَأَنَّهُ هُوَ ﴾[النمل/٤٢] [2]

(ج) أنها تفيد التشبيه، إذا كان خبرها جامداً أو مؤولاً به، نحو:

وكأن دجلة إذ تلاطم موجها ❁ ملك يعظم خيفةً ويبجل

وتفيد الشك إذا **كان** خبرها مشتقا، نحو:

كأنك قائم فيهم خطيباً ❁ وكلهُمُ قيامٌ للصلاة [3] .

وهذا لا ينسحب على الآية ، لأن لفظ " جان " جامد ، فتعيّن الشبه دون الشك .

(٢) بالنظر إلى ما سبق من قوة الشبه فى الأداة ، وتعدد أوجه الشبه ، جاز لنا القول: إن أسلوب التشبيه يخدم ويبرز مدى المعاناة أوالخوف الذى لاقاه نبى الله موسى عليه السلام فى تلك الليلة ، وأن فى ذلك أبلغ الاعتذار عنه عندما خاف وولّى ، لأن خوفه كان خوفاً جبليًّا فطرياً لا يلام عليه ، سيما بعدما عرفنا هول ما رأى .

(٣) وكذلك من الفوائد التى يمكن أن نثبتها أن أمر عصا موسى عليه السلام كان تحويلاً لها من خلق إلى خلق آخر ، والدليل :

(أ) أن سحرة فرعون لما رأوا الحية تلقف ما يأفكون ، وتسعى فى الأرض بحثاً عن رزقها ، أيقنوا أنه خلق حقيقى من عند الله ، وليس سحراً ، لأنهم يعلمون تمام العلم أن السحر لا يقلب الأعيان ، فلم نرَ أو نسمع عن ثعبان لساحر لدغ رجلاً فمات ، ولم نسمع أن ساحراً أخذ التراب فجعله ذهباً ، وإلا كانوا أغنى الناس ، ولكن الواقع بخلاف ذلك ، ولذلك فطن السحرة إلى تلك العلة ، فآمنوا جميعا لرب العالمين ، وهذا ينسحب على عصا موسى ليلة المناجاة .

(ب) أن الله قادر على كل شىء ، والله أخرج قبل ذلك لقوم صالح ناقة عشراء من الصخرة .

---

(١) انظر : السعدى – تيسير الكريم الرحمن – (٦١٨) بتصرف .

(٢) السيوطى – الإتقان – (٢٤٩ : ٢٥٠)

(٣) المراغى – علوم البلاغة – (١ / ٢٣٢)

obeikandi.com

قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَىٰ بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ **[القصص /٤٣]**

*** توصيف التشبيه من جهة طرفى التشبيه**

(١)	الحس والعقل	المشبه حسى والمشبه به عقلى
(٢)	الإفراد والتركيب	المشبه مفرد مطلق ، والمشبه به مفرد مقيد مثل " بصائر للناس " ومفرد مطلق مثل : " وهدى ورحمة "
(٣)	التعدد	تشبيه جمع ، لتعدد المشبه به دون المشبه

*** توصيف التشبيه من جهة الأداة**

تشبيه مؤكد ، لحذف الأداة من الأسلوب

*** توصيف التشبيه من جهة وجه الشبه**

تشبيه مجمل ، لعدم ذكر وجه الشبه

*** التوصيف النهائى للأسلوب : تشبيه بليغ لحذف الأداة والوجه**

*** القيمة الإيحائية للأسلوب**

لفت عقول المتلقين وقلوبهم إلى المعانى الخفية ، وذلك بإخراجها إلى الجلى ، وإدنائها إلى القريب ، فينتبه الغافل ، ويقبل المُعْرِض .

بيد أن فى النفس شيئاً من القول بأن ذلك تشبيه .

obeikandl.com

المبحث الثانى

الاستعارة

(١) تمهيد : الاستعارة ومنزلتها فى البلاغة

قال الإمام عبد القاهر الجرجانى فى " أسرار البلاغة " :

اعلم أن الاستعارة أَمَدُّ ميداناً ، وأبعد غوْراً ، وأذهب نجداً فى الصناعة وغوراً ، من أن تُجمَعَ شُعَبُها وشعوبها ، وتُحصر فنونها وضروبها ، ومن خصائصها أنها تعطيك الكثير من المعانى حتى تخرج من الصَّدَفة الواحدة عِدّةً من الدّرر ، وتجنى من الغصن الواحد أنواعاً من الثمر وتجد التشبيهات على الجملة غَير مُعْجِبَةٍ ما لم تُكَنِّها ، إن شئت أرتك المعانى التى هى من خبايا العقل ، كأنها قد جُسِّمت حتى رأتها العيون ، وأن شئت لَطَّفَتْ الأوصاف الجسمانية حتى تعود روحانية لا تنالها الظنون .[١]

(٢) تعريفها :

(أ) يقول الدكتور مختار عطية فى صدر مبحث " **ماهية الاستعارة ومجالها** " :

يقترب معنى الاستعارة مجازاً – إلى حد كبير – من معناها حقيقة ، إذ الحقيقة أصل المجاز وأساسه ، فالرجل يستعير من الرجل بعض ما ينتفع به مما عند المعير، وليس موجوداً لدى المستعير ، ويشترط لتمام هذه العملية أن يكون بين الطرفين – المعير والمستعير – تعارف وتعامل يقتضيان استعارة أحدهما من الآخر ، وهو حكم ينطبق على الاستعارة المجازية فلا يستعار أحد اللفظين للآخر إلا إذا توافر التعارف المعنوى .[٢]

والدكتور مختار فى هذا التعريف يقرب الشُّقة أمام من يظن انفصاماً بين عُرَى المعنيين اللغوى والاصطلاحى للاستعارة ، وبذلك يتضح لنا ارتباطا قوياً ، وتجانساً بين المعنيين .

(ب) يقول السيوطى – رحمه الله– : الاستعارة : مجاز علاقته المشابهة ، أو يقال فى تعريفها : اللفظ المستعمل فيما شُبّه بمعناه الأصلى ، والأصح أنها مجاز لغوى ، لأنها موضوعة للمشبه به ، لا للمشبه ، ولا لأعمّ منهما[٣]

---

(١) انظر : المراغى – علوم البلاغة – (١ /٢٥٩) – وانظر : الجرجانى – أسرار البلاغة– قرأه وعلق عليه : محمود شاكر . مطبعة المدنى بالقاهرة ، ودار المدنى بجدة . ١٤١٢ هـ . ١٩٩١ م .
(٤٢ :٤٣) مختصراً

(٢) د. مختار عطية – علم البيان – (٦١)

(٣) السيوطى – الإتقان – (٣٥٨ :٣٥٩)

obeikandi.com

(جـ) الاستعارة لغةً : من العارية ، أو من التعاور بمعنى التداول ، قال الجوهرى : " اسْتَعَارَهُ ثوباً فأعارَهُ إيَّاه. ومنه قولهم: كيرٌ مُسْتعارٌ. قال بشر:

كأنَّ حَفيفَ مَنْخِرِهِ إذا ما * * كَتَمْنَ الرَبْوَ كيرٌ مُسْتعارُ

، وقد قيل مُسْتعارٌ بمعنى متَعاوَرٌ، أو متداولٌ " (١).

واصطلاحاً : هى استعمال اللفظ فى غير ما وضع له لعلاقة المشابهة بين المعنى المنقول عنه ، والمعنى المستعمل فيه ، مع قرينةٍ صارفةٍ عن إرادة المعنى الأصلى . (٢)

(٣) علاقة الاستعارة بالمجاز والتشبيه :

(أ) يقول السيوطى – رحمه الله– : زُوِّج المجاز بالتشبيه ، فتولّد بينهما الاستعارة ، فهى مجاز علاقته المشابهة . (٣)

(ب) ويقول الهاشمى – رحمه الله – : والاستعارة ليست إلا تشبيهاً مختصراً ، لكنها أبلغ منه ، كقولك : " رأيت أسداً فى المدرسة " ، فأصل هذه الاستعارة " رأيت رجلاً شجاعاً كالأسد فى المدرسة " ، فحذفت المشبه " لفظ الرجل " وحذفت الأداة " الكاف " ، وحذفت وجه التشبيه " الشجاعة " ، وألحقته بقرينة " المدرسة " لتدل على أنك تريد بالأسد شجاعاً . (٤)

(جـ) يقول الدكتور زكريا سعيد : الاستعارة :

مبنى الاستعارة على التشبيه :

الاستعارة مبنية على التشبيه عند علماء البلاغة حيث يرون " الاستعارة " صورة متطورة فى الترقى عن التشبيه ، أو كما يقول بعضهم : إنه تشبيه حذف أحد طرفيه . (٥)

(٤) أقسام الاستعارة : تنقسم الاستعارة باعتبارات مختلفة ، مدارها على أركانها ومكوناتها وفحواها

يقول الدكتور مختارعطية : تقسم الاستعارة باعتبارات أركانها ومكوناتها وفحواها ثمانية أقسام:

الأول : باعتبار طرفيها ، **والثانى** : باعتبار المستعار له ، **والثالث** : باعتبار اللفظ المستعار ، **والرابع** : باعتبار الملائم ، **والخامس** : باعتبار الصياغة ، **والسادس** : باعتبار كيفية الاستعمال ، **والسابع** : باعتبار الجامع ، **والثامن** : باعتبار التوافق والتنافر (٦)

---

(١) الجوهرى – الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية – باب الراء فصل العين (عور) – (٢ / ٧٦١) .
(٢) انظر : الهاشمى – جواهر البلاغة – ص (٢٢٧)
(٣) السيوطى – الإتقان – ص (٣٥٨)
(٤) الهاشمى – السابق – ص (٢٢٧)
(٥) د. زكريا سعيد – محاضرات فى البيان : الاستعارة والمجاز – دار الثقافة العربية – د. ت –(٧) .
(٦) د . مختار عطية – علم البيان – ص (٦٦)

obeikandl.com

القسم الأول: الاستعارة باعتبار طرفيها :

تنقسم الاستعارة باعتبار طرفيها إلى : " المستعار له والمستعار منه " إلى نوعين : تصريحية ومكنية

أولاً : التصريحية : وتسمى " المصرحة " وهى ما حذف منها المستعار له وذكر فيها المستعار منه .

ثانياً : الاستعارة المكنية : وتسمى" بالكناية " ، وهى عكس التصريحية ، حيث يحذف منها " المستعار منه " وتدل على قرينة من قرائنه ، أو دليل من أدلته ، أو لازم من لوازمه ، ويصرح فيها بلفظ المستعار له . (١)

القسم الثانى : الاستعارة باعتبار المستعار له :

تنقسم الاستعارة باعتبار المستعار له إلى نوعين: تحقيقية وتخييلية وكلتاهما يحددها المستعار له.

أولاً : الاستعارة التحقيقية :

وهى ما تحقق معناها حساً أو عقلاً ، بأن يكون اللفظ المستعار منقولاً إلى أمر معلوم يمكن الإشارة إليه إشارة حسية أو عقلية .

ثانياً : الاستعارة التخييلية :

وهى التى لم يتحقق فيها معنى المستعار له ، لا حساً ولا عقلاً ، وتقترن الاستعارة التخييلية دائماً بالمكنية ، حتى قال بعضهم : المكنية لابد من أن تكون تخييلية . (٢)

القسم الثالث : الاستعارة باعتبار اللفظ المستعار

تنقسم الاستعارة باعتبار اللفظ المستعار إلى نوعين : أصلية وتبعية ، وكلتاهما يحددها اللفظ المستعار

أولاً : الاستعارة الأصلية :

وهى ما كان فيها اللفظ المستعار اسم جنس غير مشتق ، سواء فى ذلك إذا كانت الاستعارة تصريحية أم مكنية ، وقد يكون اسماً لذات " أسد – بحر – قمر " أو لمعنى " القتل – النطق " وسواء أكان جنس حقيقة " رأيت رجلاً كريماً " أم تأويلاً " قابلت حاتماً – سمعت قِسًّا "

وقد سميت استعارة أصلية نسبة إلى الأصل ، أى الاستقلال من غيرها

ثانيا : الاستعارة التبعية :

---

(١) **د. مختار عطية – السابق – (٦٦ :٦٩) باختصار .**

(٢) **المصدر نفسه – (٧٠ : ٧٢) باختصار .**

وهى ما كان فيها المستعار اسماً مشتقاً أو اسماً مبهماً ، وسميت تبعاً ، لأن جريانها فى المشتقات والحروف تابع لجريانها أولاً فى الجوامد ، وفى كليات معانى الحروف ، يعنى أنها سُمِّيت تبعية لتبعيتها لاستعارة أخرى ، لأنها فى المشتقات تابعة للمصادر. (١)

القسم الرابع : الاستعارة باعتبار الملائم

تنقسم الاستعارة باعتبار الملائم " ما يلائم المستعار أو المستعار منه : ثلاثة أنواع :

أولاً : الاستعارة المطلقة :

وهى التى تخلو من كل ما يلائم المستعار منه أو المستعار له ، فيتحرر طرفاها من الارتباط بأى وصف أو قيد ، أو ما اقترنت بما يقيدهما معاً ، حتى كأن قيد الطرف الأول يلغى قيد الطرف الثانى فيبطل القيدين معاً

ثانياً : الاستعارة المجردة :

وهى التى تقترن بما يلائم المستعار له دون المستعار منه

ثالثاً : الاستعارة المرشحة :

وهى التى تقترن بما يلائم المستعار منه ، وهى عند السيوطى أبلغ الثلاثة مع " المطلقة والمجردة " (٢)

القسم الخامس : الاستعارة باعتبار الصياغة

تنقسم الاستعارة باعتبار الصياغة والهيئة إلى نوعين : مفردة ومركبة أو مفردة وتمثيلية

أولاً : الاستعارة المفردة :

هى كل استعارة كان طرفاها مفردين لا يقومان على التمثيل ، إنما يقومان على استعارة اللفظ جامداً أو مشتقاً ، أو الفعل ، أو المصدر ، أو الحرف كذلك

ثانياً : الاستعارة المركبة أو التمثيلية :

وتسمى " التمثيلية " وتقوم على التمثيل والتصوير. (٣)

القسم السادس : الاستعارة باعتبار كيفية الاستعمال

---

(١) المراغى – علوم البلاغة – (١ / ٢٧٤ : ٢٧٦) باختصار

(٢) نفسه – (١ / ٢٧٧ : ٢٧٨) . بتصرف .

(٣) د. مختار عطية – علم البيان – (٧٧ : ٧٩) باختصار .

obeikandl.com

تنقسم الاستعارة باعتبار كيفية الاستعمال إلى خمسة أنواع :
تهكُّمية ، واستعارة محسوس لمحسوس ، واستعارة معقول لمعقول ، واستعارة محسوس لمعقول ، واستعارة معقول لمحسوس .

أولا : الاستعارة التهكمية :

وتكون باستعمال الألفاظ الدالة على المدح فى نقائضها من الذم والإهانة على سبيل التهكم بالمخاطب ، وإنزال قدره والحط منه ، وهو إجراء يعبر عن شدة الغضب على المتهكم به ، وهو مشتق من تهكم البئر أى : سقوطه .

ثانياً : استعارة محسوس لمحسوس :

وهى ما كان فيه طرفا الاستعارة محسوسين .

ثالثاً : استعارة معقول لمعقول :

وهو ما كان فيه طرفا الاستعارة عقليين .

رابعاً : استعارة محسوس لمعقول :

بأن يكون المستعار منه محسوساً والمستعار له معقولاً .

خامساً : استعارة معقول لمحسوس :

وتكون على عكس النوع السابق . (١)

القسم السابع : الاستعارة باعتبار الجامع

تنقسم الاستعارة باعتبار الجامع بين طرفى الاستعارة إلى نوعين : عامية وخاصية

أولاً : العامية :

وهى التى لا يحتاج فيها إلى طول تدقيق وبحث لمعرفة المستعار ، والاستدلال على الجامع بين المستعار له والمستعار منه

ثانياً : الاستعارة الخاصية :

وهى ما غمض فيها المستعار واضطرب الجامع وصعب الحصول عليه وقد سميت بذلك لأنها تحتاج إلى مدركين خواص ، وليس للعوام إليها سبيل . (٢)

القسم الثامن : الاستعارة باعتبار التوافق والتنافر

تنقسم الاستعارة باعتبار التوافق والتنافر بين طرفيها إلى نوعين : عنادية ووفاقية

---

(١) د. مختار عطية – السابق (٧٩ : ٨٢) باختصار .

(٢) نفسه – (٨٣ : ٨٤) .

obeikandi.com

أولاً : الاستعارة العنادية :

وهى التى يتعاند طرفاها فى الاجتماع بسبب التناقض والتنافى

ثانياً : الاستعارة الوفاقية :

هى التى يتوافق طرفاها فى الاجتماع لانعدام التنافر والتناقض [١]

(٥) مسألة إثبات أو إنكار الاستعارة

قال السيوطى – رحمه الله – : أنكر قوم الاستعارة بناءً على إنكارهم المجاز ، وقوم إطلاقها فى القرآن – أى يمنعون إطلاقها فى القرآن – لأن فيها إيهاماً للحاجة ، ولأنه لم يرد فى ذلك إذن من الشرع ، وعليه القاضى عبد الوهاب المالكى ، وقال الطرطوسى : إن أطلق المسلمون الاستعارة فيه أطلقناها ، وإن امتنعوا امتنعنا ، ويكون هذا من قبيل: " إن الله عالم " ، والعلم هو العقل لا نصفه به لعدم التوقيف – انتهى. [٢]

(٦) بلاغة الاستعارة

تأتى بلاغة الاستعارة من ناحيتين :

الأولى : طريقة تأليف ألفاظه **والثانية** : ابتكار مشبه به بعيد عن الأذهان ، لا يجول إلا فى نفس أديب ، وَهَبَ الله له استعداداً سليماً فى تعرُّف وجوه الشبه الدقيقة بين الأشياء ، وأودعه قُدرة على ربط المعانى ، وتوليد بعضها من بعض إلى مدًى بعيد لا يكاد ينتهى .

وسر بلاغة الاستعارة لا يتعدى هاتين الناحيتين .

فبلاغتها **من ناحية اللفظ** : أن تركيبها يدل على تناسى التشبيه ، ويحملك عمداً على تخيُّل صورةٍ جديدة تُنسيك روعتها ما تضمنه الكلام من تشبيه خفى مستور ، فالاستعارة أبلغ من التشبيه البليغ ، لأنه وإن بُنِىَ على ادعاء أن المشبه والمشبه به سواء ، لا يزال فيه التشبيه منوياً ملحوظاً ، بخلاف الاستعارة ، فالتشبيه فيها منسىٌّ مجحود ، ومن ذلك يظهر لك أن الاستعارة المرشحة أبلغ من الاستعارة المطلقة وأن الاستعارة المطلقة أبلغ من الاستعارة المجردة .

أما بلاغة الاستعارة **من حيث الابتكار** :

فروعة الخيال وما تحدثه من أثر فى نفوس سامعيها ، فمجال فسيح للإبداع ، وميدانٌ لتسابق المجيدين من فرسان الكلام ، انظر إلى قوله – عز شأنه – فى وصف النار : ﴿ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ ۖ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴾ [الملك / ٨]

---

(١) المراغى – علوم البلاغة – (١/ ٢٦٦)

(٢) السيوطى – الإتقان – ص (٣٦٢)

obeikandl.com

ترتسم أمامك النار فى صورة مخلوق ضخم ، بطاشٍ مكفهرِّ الوجه ، عابس يغلى صدره حقداً وغيظاً . [١]

(٧) التدرج فى بلاغة الاستعارة

وأبلغ أنواع الاستعارة **التمثيلية** ، كما يؤخذ من الكشاف ، ويليها **المكنية** ، صرّح به الطيبىّ لاشتمالها على المجاز العقلى ، والترشيحية أبلغ من **المجردة والمطلقة** ، والتخييلية أبلغ من **التحقيقية** ، والمراد بالأبلغية، إفادة زيادة التأكيد والمبالغة فى كمال التشبيه ، لا زيادة فى المعنى ، لا توجد فى غير ذلك[٢]

(٨) الفرق بين التشبيه والاستعارة

يقول الدكتور مختار عطية :

لا شك فى أن أساس الاستعارة قائم على المشابهة والمماثلة ، ولذلك عدّ بعضهم التشبيه أصلاً والاستعارة فرعاً عليه ، وذلك ما دفع كثيراً من البلاغيين قديماً وحديثاً إلى الخلط بينهما حتى ذهب بعضهم إلى أنه لا فرق بينهما ، وهذا باطل من وجهين :

الأول : أن التشبيه حكم إضافى لا يوجد إلا بين شيئين ، فإذا قلنا: " رأيتُ أسداً " فلا ذكر لشىء آخر يشبه بالأسد .

الثانى : أنه لما كان التشبيه كائناً فى الاستعارة ، فإن الإيجاز أيضاً مطلوب منها ، فإذا قلنا : رأيت أسداً ، كان معناه : " رأيت رجلاً شبيهاً بالأسد فى شجاعته " فقد نابت جملة الاستعارة " رأيت أسداً " مناب هذا الكلام الطويل ، فالتشبيه إذاً أحد غرضى الاستعارة : التشبيه والإيجاز ، وحيث لا يصح أن يقال : الاستعارة من باب الإيجاز، فكذلك لا يصح أن يقال : أنها من باب التشبيه[٣]

والفارق بين البابين أننا فى باب التشبيه أبقينا على طرفى التشبيه كليهما المشبه والمشبه به (الرجل والأسد) ، أما فى باب الاستعارة ، فنحن ألغينا هذا التفرد لكل واحد من طرفى التشبيه وجعلناهما شيئاً واحداً ، حيث ادعينا أننا رأينا أسداً حقيقياً يقاتل فى الميدان ، فخلعنا صورة المشبه به (الأسد) على المشبه (الرجل) وتخيلنا أنهما شىء واحد ، وفى هذا من الترقى فى المبالغة فى وصف شجاعة هذا الرجل ما فيه [٤]

---

(١) انظر : الهاشمى – جواهر البلاغة – ص (٢٥١: ٢٥٢) باختصار

(٢) السيوطى – الإتقان – ص (٣٦٢)

(٣) د. مختار عطية – علم البيان – ص (٦٢)

(٤) د. زكريا سعيد – محاضرات فى البيان : الاستعارة والمجاز – ص (٨:٧)

واعلم أن الاسم إذا قصد إجراؤه على غير ما هو له لمشابهة بينهما كان ذلك على ما مضى من الوجهين :

أحدهما : أن تُسقِط ذكر المشبه من البَيْن ، حتى لا يُعْلَم من ظاهر الحال أنك أردته ، وذلك أن تقول : " عَنَّتْ لنا ظبية " وأنت تريد امرأة ، و " وردنا بحراً " وأنت تريد الممدوح فأنت فى هذا النحو من الكلام إنما تعرف أن المتكلم لم يُرد ما الاسم موضوعٌ له فى أصل اللغة ، بدليل الحال ، أو إفصاح المقال بعد السؤال ، أو بنحوىّ الكلام وما يتلوه من أوصاف .

والوجه الثانى : أن تذكر كلَّ واحدٍ من المشبه والمشبه به فتقول : " زيدٌ أسد " و " هندٌ بدر " ، اعلم أن الوجه الذى يقتضيه القياس ، وعليه يدلّ كلام القاضى فى الوساطة أن لا تُطْلَق الاستعارة على نحو قولنا : " زيدٌ أسدٌ " و " هندٌ بدرٌ " ، ولكن تقول : هو تشبيه ، وإذا قال : " هو أسد " لم تقل : استعار له اسم الأسد ، ولكن نقول : " شَبَّهه بالأسد "[1]

(٩) نماذج تطبيقية للاستعارة فى السورة :

سأكتفى فى هذا المبحث بذكر الاستعارة من حيث : اعتبار طرفيها (مكنية – تصريحية) ومن حيث اللفظ المستعار (أصلية – تبعية) ، ومن حيث الملائم (ترشيحية – تجريدية – مطلقة) ، وباعتبار الصياغة (مفردة – تمثيلية) مع الاكتفاء بالإشارة إلى كناية الاستعارة ، وعدم ذكر كونها تخييلية أم تحقيقية ، عملاً بالرأى القائل بأن المكنية هى التخييلية [2]

قوله تعالى ﴿ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ ﴾ [القصص/٧]

*** نوع الاستعارة** : مكنية – تبعية – مرشحة – مفردة

وسبب الترشيح قوله تعالى : ﴿ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ ﴾ وهذا ترشيح للاستعارة .

*** القيمة الإيحائية للاستعارة** :

تصوير نبى الله موسى عليه السلام وقتئذٍ بالغرض الذى يلقى أو يُقذف دونما حول منه أو قوة ، وفى ذلك أدعى دليل على أن المدبر الحقيقى للمقادير، ومُصرِّف الأمور هو الله – عز وجل – .

قوله تعالى : ﴿ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ﴾ [القصص/٨]

*** نوع الاستعارة** : مكنية – تبعية – مطلقة – مفردة

*** القيمة الإيحائية** : يقال فيها ما قيل فى الآية السابقة .

وقوله تعالى : ﴿ يَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ﴾ [القصص/٨]

---

(١) عبد القاهر الجرجانى – أسرار البلاغة – (٣٢٠ : ٣٢٢) باختصار

(٢) انظر : د. مختار عطية – علم البيان – (٧١)

*** نوع الاستعارة :**

تصريحية – أصلية – مطلقة – مفردة .

*** القيمة الايحائية :** فيها دلالة على صلابته فى الحق ، وأنه بمثابة الصخرة التى ينكسر عليها جبروت فرعون وقومه ، أخذنا ذلك من المعنى اللغوى للفظ " الحَزَن " ، وهو خشونةٌ فى الأرض وخشونةٌ فى النَّفْس لما يحصل فيه من الغم [1]

قوله تعالى : ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا ۖ إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا ﴾ [القصص/١٠]

*** نوع الاستعارة :** مكنية – تبعية – ترشيحية – مفردة

ودلالة الترشيح قوله : ﴿ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا ﴾ [القصص/١٠]

والربط على القلب : شدُّه والمراد هنا تثبيته[2]، فلفظ الربط رشح الاستعارة ، لأنه صار كالوكاء للقلب الذى أشبه الكيس الفارغ .

*** القيمة الإيحائية :** وفى ذلك دلالة على أن الاطمئنان والأمان يملأ القلب ويثقله ، وأن تثبيت الله لقلب المؤمن بمثابة الوكاء للكيس فيحفظ ما به فلا يكون خَواءً .

قوله تعالى : ﴿ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ ﴾ [القصص/٣٢]

*** نوع الاستعارة :** تصريحية – أصلية – مطلقة – مفردة

*** القيمة الإيحائية :** بداية نبيّن أن تشبيه اليد بالجناح بجامع المشابهة بينهما

قال البيضاوى– رحمه الله– : ويجوز أن يراد بالضم التجلد والثبات عند انقلاب العصا حية استعارة من حال الطائر ، فإنه إذا خاف نشر جناحيه ، وإذا أمن واطمأن ضمهما إليه . [3]

(قلت) : ولعل فى ذلك دلالة إلى أن اليد صارت لموسى عليه السلام كالجناح للطائر يحنو به على أولاده ، ولذلك قرنه الله – عز وجل – مع الرحمة فى قوله تعالى : ﴿ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ ﴾ ، وهذا من تهيئ الله عز وجل لموسى عليه السلام فى ذلك الموقف الرهيب .

قوله تعالى : ﴿ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ ﴾ [القصص/٣٥]

*** نوع الاستعارة :** مكنية – تبعية – مطلقة – مفردة

*** القيمة الإيحائية :**

---

(١) انظر : الأصفهانى – المفردات – مادة (حَزَن) – (١٢٣)

(٢) انظر : المراغى – تفسير المراغى – ص (٢٠ / ٣٧)

(٣) البيضاوى – جامع البيان – ص (٤ / ١٧٧)

يقول ابن عاشور – رحمه الله– : وَالشَّدُّ: الرَّبْطُ، وَشَأْنُ الْعَامِلِ بِعُضْوٍ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَعْمَلَ بِهِ عَمَلًا مُتْعِبًا لِلْعُضْوِ أَنْ يَرْبِطَ عَلَيْهِ لِئَلَّا يَتَفَكَّكَ أَوْ يَعْتَرِيَهُ كَسْرٌ، وَفِي ضِدِّ ذَلِكَ قَالَ تَعَالَى وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ [الْأَعْرَاف: ١٤٩] وَقَوْلُهُمْ: فَتَّ فِي عَضُدِهِ، وَجُعِلَ الْأَخُ هُنَا بِمَنْزِلَةِ الرِّبَاطِ الَّذِي يُشَدُّ بِهِ. وَالْمُرَادُ: أَنَّهُ يُؤَيِّدُهُ بِفَصَاحَتِهِ، فَتَعْلِيقُهُ بِالشَّدِّ مُلْحَقٌ بِبَابِ الْمَجَازِ الْعَقْلِيِّ. وَهَذَا كُلُّهُ تَمْثِيلٌ لِحَالِ إِيضَاحِ حُجَّتِهِ بِحَالِ تَقْوِيَةِ مَنْ يُرِيدُ عَمَلًا عَظِيمًا أَنْ يُشَدَّ عَلَى يَدِهِ وَهُوَ التَّأْيِيدُ الَّذِي شَاعَ فِي مَعْنَى الْإِعَانَةِ وَالْإِمْدَادِ (١)

والأمر أعم من إيضاح الحجة ، ليشمل التعاضد والتآزر فى شأنهما جميعاً .

وفى ذلك أوضح دلالة على عظم المهمة ، ولدادة الخصم وطغيانه

قوله تعالى : ﴿ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ ﴾ [القصص/٤٠]

* **نوع الاستعارة** : مكنية – تبعية – مطلقة – مفردة

* **القيمة الإيحائية :** فيه دلالة واضحة على شدة حقارتهم ومهانتهم ، فصاروا بكفرهم وتكذيبهم كالشىء المنبوذ

قوله تعالى : { فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ } [القصص/٥٠]

* نوع الاستعارة : مكنية – تبعية – مرشحة – مفردة

ودلالة الترشيح قوله : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ ﴾

* **القيمة الإيحائية** : الاستعارة فيها تشخيص ، مفاده منتهى الذل ، ومهانة التبعية ، فالضال بمثابة العبد الذى ينصاع خلف سيده وقد أهطع ، وأقنع رأسه فى ذلة وصَغَار

قوله تعالى : ﴿ وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ ﴾ [القصص/٥٤]

* **نوع الاستعارة** : مكنية – تبعية – مطلقة – مفردة

* **القيمة الإيحائية :** فى الاستعارة دلالة واضحة على قوة الحسنة وأنها بمثابة السلاح الذى يدفع به الفارس عن نفسه .

قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ ﴾ [القصص/٥٥]

* **نوع الاستعارة** : مكنية – تبعية – مطلقة – مفردة

* **القيمة الإيحائية :** الاستعارة تصور اللغو بمثابة إنسان طفيلى ، أو رجل مهين مدفوع بالأبواب ، وإذا رؤى أعرض عنه النبلاء ، وفى ذلك دعوة لنبذه والكف عنه بكل سبيل .

---

(١) انظر : ابن عاشور – التحرير والتنوير– ص (٢٠ / ١١٧)

قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا ﴾ [القصص/٥٧]

فى الآية استعارتان :

* **نوع الاستعارة الأولى** : مكنية – تبعية – مطلقة – مفردة

* **القيمة الإيحائية للأولى** : التشخيص للهدى كإمام يُتَّبع ، بيد أنهم لا يرغبون فى اتباعه ، وفى ذلك أوضح دلالة على كبرهم وتعنتهم .

* **نوع الاستعارة الثانية** : مكنية – تبعية – مرشحة – مفردة .

ودلالة الترشيح قوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا ﴾ [القصص/٥٧] ، فصار الحرم لهم كالحمى .

القيمة الإيحائية للثانية : فيها دلالة على فساد دعواهم أن نتيجة اتباعهم للنبى ﷺ مزيد من الضعفة والمسكنة ، حتى إنهم من شدة ضعفهم ليتخطفون من أرضهم كما يتخطف اللحم من الأرض .

قوله تعالى : ﴿ ورَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ [القصص/٦٩]

* **نوع الاستعارة** : مكنية – تبعية – مطلقة – مفردة

* **القيمة الإيحائية** : الاستعارة صورت الصدور بالكِنَّة ، والكِنُّ كما يقول الراغب : ما يحفظ فيه الشىء [(١)] ، وفى ذلك دلالة على استواء السر والجهر فى علم الله ، وأن الله محيط بكل شىء ، مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ لِتَعْلَمُ أَنَّ اللَّه عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّه قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْماً ﴾ [الطلاق/ ١٢] وقوله : ﴿ وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴾ [طه/٧]

قوله تعالى : ﴿ وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ﴾ [القصص/٧٥]

* **نوع الاستعارة** : مكنية – تبعية – مطلقة – مفردة

* **القيمة الإيحائية** : فى الاستعارة دلالة على عظم قدرة وبطش الله ﷻ بالمشركين ، قال العلاّمة ابن عاشور : والمخاطب بـ " هاتوا " هم المشركون ، أى : هاتوا برهانكم على إلهية أصنامكم ، وقال أيضاً : والنزع : جذب شىء من بين ما هو مختلط ، واستعير هنا لإخراج بعضٍ من جماعة [(٢)]

---

(١) الراغب – المفردات – (كَنَّ) – (٤٤٤)

(٢) انظر : ابن عاشور – التحرير والتنوير – (٢٠ / ١٧٣)

المبحث الثالث

المجاز

(١) تعريفه : المجاز لغةً:

يقول العلوى : " المجاز مفعل واشتقاقه إما من الجواز الذى هو التعدى فى قولهم: «جزت موضع كذا» إذا تعدّيته، أو من الجواز الذى هو نقيض الوجوب، والامتناع، وهو فى التحقيق راجع إلى الأول، لأن الذى لا يكون واجبا ولا ممتنعا يكون مترددا بين الوجود والعدم، فكأنه ينتقل من الوجود إلى العدم، أو من العدم إلى الوجود، فاللفظ المستعمل فى غير موضوعه الأصلّى، شبيه بالمتنقّل، فلا جرم سمى مجازا . [١]

واصطلاحاً :

يقول المراغى : " هو الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له في اصطلاح التخاطب لملاحظة علاقة بين الثاني والأول مع قرينة تمنع إرادة المعنى الأصلي، كالأسد المستعمل في الشجاع، والغيث المستعمل في النبات " [٢]

والعلاقة : هى المناسبة بين المعنى الحقيقى والمعنى المجازى ، قد تكون المشابهة بين المعنيين ، وقد تكون غيرها ، فإذا كانت العلاقة المشابهة ، فالمجاز استعارة ، وإلا فهو مجاز مرسل .

والقرينة : وهى المانعة من إرادة المعنى الحقيقى ، قد تكون لفظية وقد تكون حالية . [٣]

(٢) أنواع المجاز : يقول الهاشمى :

ينقسم المجاز إلى أربعة أقسام :

(أ) مجاز مفرد مرسل (ب) مجاز مفرد بالاستعارة

(ويجريان فى الكلمة)

(جـ) ومجاز مركب مرسل (د) ومجاز مركب بالاستعارة

(ويجريان فى الكلام)

ومتى أطلق المجاز انصرف إلى المجاز اللغوى – وهو المفرد كما ذكر السيوطى – [١]

---

(١) العلوى – الطرازلأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز – المكتبة العصرية – بيروت ١٤٢٣هـ – (١ /٣٦)

(٢) المراغى – علوم البلاغة – (١ /٢٤٨) .

(٣) الهاشمى – جواهر البلاغة – (٢١٧)

obeikandi.com

وأنواع المجاز كثيرةٌ أهمها المجاز المرسل ، وهو المقصود بالذات ، وسيأتى مجاز يسمى " المجاز العقلى " ويجرى فى الإسناد . [٢]

(**قلت**) : ونستدرك على الهاشمى أنه أفرد المجاز العقلى بنوع خاص ، والظاهر أنه ينسحب تحت قسم المجاز المركب المرسل ، وقد ذكر ذلك السيوطى ، وفصله الدكتور مختار عطية .

يقول السيوطى – رحمه الله– فى أقسام المجاز :

وهو قسمان : **الأول** : المجاز فى التركيب ، ويسمى مجاز الإسناد والمجاز العقلى وعلاقته الملابسة ، وذلك أن يسند الفعل أو شبهه إلى ما هو له أصالة لملابسته له ، كقوله تعالى :

﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا ﴾ [الأنفال /٢] ، نُسِبت الزيادة وهى فعل الله إلى الآيات ، لكونها سبباً لها .

القسم الثانى : المجاز فى المفرد ويسمى اللغوى ، وهو استعمال اللفظ فى غير ما وضع له أوّلاً ، وأنواعه كثيرة [٣]

ونلاحظ أن السيوطى ذكر القسمين ، ولم يذكر فيهما علاقة المشابهة ، لأنه سيتعرض لهما فى النوع (الثالث والخمسون) عند ذكر الاستعارة ، ونحواً من ذلك ذكر **الدكتور مختار عطية** بيد أنه وضح الملاحظة السابقة عند ذكره المجاز اللغوى فقال :

وينقسم المجاز اللغوى هذا إلى قسمين :

(أ) المجاز الذى يحقق المشابهة بين المعنيين الحقيقى والمجازى ، وهو خارج عن درس المجاز إلى درس الاستعارة .

(ب) المجاز الذى لا يحقق المشابهة بين المعنيين الحقيقى والمجازى ، وهو ما يطلق عليه " المجاز المرسل " ، وقد سمى مرسلاً ، لأنه غير مقيد بعلاقة المشابهة كما فى القسم الأول من قسمى المجاز اللغوى الذى يطلق عليه – كما تقدم – " الاستعارة " أو " المجاز الاستعارى" [٤]

ونلاحظ أن الدكتور مختار عند ذكره المجاز العقلى أو الإسنادى – ولم أذكر كلامه اختصاراً – لم يذكر، علاقة المشابهة ، لأن المجاز عندئذ هو الاستعارة التمثيلية ، ولعل ذلك ، لأن موضعه درس الاستعارة أيضاً كما ذكر

(٣) بلاغة المجاز :

---

(١) السيوطى – الإتقان – ص(٣٤٧)

(٢) الهاشمى – جواهر البلاغة – (٢١٨)

(٣) انظر : السيوطى – السابق – (٣٤٧) باختصار

(٤) د. مختار عطية – علم البيان – (١١٢ – ١١٣)

obeikandl.com

يقول الدكتور مختار عطية فى مبحث : محاسن المجاز :

لا شك فى أن عدول المتكلم عن الحقيقة إلى المجاز يكون دافعه فى ذلك تحقيق ما لم تحرزه الحقيقة ، وإلا لما كان هناك داعٍ للعدول عن الأسلوب الحقيقى ما دام يؤدي ما لم يؤده المجاز ، ومن ثَمَّ فإن ثَمَّة مجموعة من الأغراض والمحاسن والأهداف يحققها الاستعمال المجازى نجملها فيما يلى :

(أ) أن المعنى المجازى يختلف عن الحقيقى فى تحقيقه نسبة عالية من التشوق إلى تحصيل الكلام ، واستدعاء العلاقات

(ب) أن استخدام لفظ المجاز قد يبعد طرفى الكلام من ثقل ألفاظ الحقيقة ، وبخاصة فى المجاز المرسل المعتمد فى معظمه على المفرد اللغوى ، ومن ذلك ما نجده فى استخدام لفظة " العين " على الربيئة أو الرقيب أو الجاسوس ، ولا شك فى أنها أعرف لدى السامع من لفظ " الربيئة " .

(ج) أن المبدع قد يكون فى مأزق إذا كان شاعراً أمام ألفاظ الحقيقة عند إقامة قافية فيلجأ إلى ألفاظ المجاز الذى تسعفه فى إدراك قافية بيته بما لم تسعفه فيها حقائق الألفاظ ، وكذا فى تسجيع سطوره إذا كان ناثراً أو كاتباً .

(د) أن المتكلم حين يلجأ إلى المجاز قد يكون أكثر توافقاً مع عادات العرب وطبيعة كلامهم بالمجاز ، فيتحقق بالاستعمال المجازى ذلك الوفاق بينه وبين السامع لشهرة لفظ المجاز عن لفظ الحقيقة ، أو لشهرة التركيب المجازى عن الإسناد الحقيقى فى الكلام .

(هـ) يعين الاستخدام المجازى للألفاظ والتراكيب على توسيع دائرة التعبير ، ومساعدة المتكلم على إيراد المعنى الواحد بصورة متعددة .

(و) يعين الاستخدام المجازى على تحقيق غرض المتكلم من مدح أو ذم أو هجاء أو تعظيم أو تحذير ، بما لم تحققه حقائق الاستعمال ، فإذا أراد المتكلم أن يشوه صورة ذلك المغتر الطاغية من بنى البشر كان أجمل من تعبيراته الحقيقية أن يقول : (انظر إلى الجيفة كيف يطغى ؟) ، فيرد ذلك المتعاظم إلى أصله ويذكره بنشأته ومآله .

(ز) يحقق المجاز من المبالغة ما تتضاءل عنه الحقيقة وتتوارى ، ومن ذلك ما ورد فى قوله تعالى مصوراً شدة رعب هؤلاء المشركين : ﴿ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ ﴾ [البقرة /١٦] ، والمراد : أناملهم ، فعبّر بالأصابع مجازاً للأنامل إشعاراً بشدة الرعب وتصويراً لبشاعة الحال ، وأيضاً فى قوله تعالى بالتعبير بعلاقة اعتبارية لما كان ، فى قوله تعالى : ﴿ وَآتُواْ الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ ﴾ [النساء/٢] ، وقد تجوّز باليتامى عن الراشدين تذكيراً للأوصياء بحالهم من الضعف ، وحثاً لهم على المسارعة بدفع أموالهم إليهم .

(ح) يحقق المجاز غاية من غايات البلاغة ومقاصدها ، وهو مطلب الإيجاز الذى تعتمد عليه العربية ، بما يحتويه من خاصة البلاغة وتمام الفائدة ، ومن ذلك قولهم : " جرى الوادى " دون قولهم : " جرى ماء الوادى " ، فضم الاستعمال المجازى إلى الإيجاز . [١]

(٤) أقوال أهل العلم في إثبات المجاز أو نفيه :

القول الأول: اللغة كلها مجاز:

ادّعى بعض علماء النحو أن كلَّ اللغة مجاز ليس فيها حقيقة، فيقول: إذا قلت: قال زيدٌ : " آمنت بالله " فقوله : " آمنت بالله " مجاز ، لأنها مقول القول ، وهى لا يمكن أن يقع عليها القول ، فليست " آمنت بالله " شيئاً شاخصاً حتى يقع عليها القول ، وهو قول بعيد جدًّا ، لكن ذكر السيوطى أن الجمهور على وقوعه فى القرآن [٢]

القول الثانى : اللغة كلها حقيقة :

جميع اللغة حقيقة ، ليس فيها مجازٌ إطلاقاً ، كلُّ الكلام حقيقة فى مدلوله ، وهذا اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية ، وتلميذه ابن القيم ، والأستاذ أبى إسحق الإسفراييني ، ومن المعاصرين محمد الأمين الشنقيطي [٣] ، أما شيخ الإسلام ابن تيمية ، فقد ذكر أن ذلك ليس معروفاً فى زمن أصحاب النبى ﷺ والتابعين لهم بإحسان ومن بعدهم أئمة المسلمين ، وهم أعلم بقواعد اللغة ممن جاء بعدهم ، وكذلك فالأئمة السلفيون المصنفون والمتكلمون فى أصول الفقه لا يوجد ذلك فى كلامهم :

كأبى حنيفة ومالك والشافعى وأحمد والأوزاعى وداود وأتباعهم .

فقال : " فمن اعتقد أن المجتهدين المشهورين وغيرهم من أئمة الإسلام وعلماء السلف قسموا الكلام إلى حقيقة ومجاز كما فعله طائفة من المتأخرين كان ذلك من جهله وقلة معرفته بكلام أئمة الدين وسلف المسلمين ، وإنما عُرف ذلك فى كلام المعتزلة ، ومن سلك طريقتهم ، وهم فى ذلك ليس لهم إمام فى فن من فنون الإسلام ، لا التفسير ، ولا الحديث ، ولا الفقه ، ولا اللغة ، ولا النحو ، بل أئمة اللغة والنحو كالخليل ، وسيبويه ، والكسائى ، والفراء وأمثالهم لا يعرفون هذا التقسيم [٤]

---

(١) د.مختار عطية – السابق (١٢٥– ١٢٦)

(٢) السيوطى – الإتقان – (٣٤٧)

(٣) ابن عثيمين – شرح الأصول من علم الأصول (١٣٥)

(٤)انظر : ابن تيميه – مجموع الفتاوى – (٢٠/٤٠٠–٤٠٥) – وانظر : ابن عثيمين – شرح الأصول – هامش (١١٩) .

وردّ **ابن قيم الجوزية** وجود المجاز فى كتابه " **مختصر الصواعق المرسلة** " ، وبيّن بطلان المجاز من خمسين وجهاً [١] وذكر السيوطى إنكار جماعة له فقال : وأنكره جماعة منهم الظاهرية ، وابن القاصِّ من الشافعية ، وابن خويز منداد من المالكية . [٢]

القول الثالث : التفريق : فكلام الله ليس فيه مجاز ، لأنه كله حق ، وكذلك الرسول ﷺ إذا صَحَّ عنه اللفظ ، فليس فيه مجاز ، لأنه ككلام الله ، وما سوى ذلك ففيه مجاز [٣]

*** حجة الرافضين للمجاز :**

(١) قال السيوطى : وأنكره جماعة ... وشبهتهم أن المجاز أخو الكذب ، والقرآن منزه عنه ، وأن المتكلم لا يعدل إليه إلا إذا ضاقت به الحقيقة فيستعير ، وذلك محال على الله تعالى [٤]

رد السيوطى – رحمه الله– على الحجة السابقة ، فقال :

وهذه شبهة باطلة ، ولو سقط المجاز من القرآن سقط منه شطر الحسن ، وقد اتفق البلغاء على أن المجاز أبلغ من الحقيقية ، ولو وجب خلو القرآن من المجاز وجب خلوه من الحذف والتوكيد وتثنية القصص وغيرها ، وقد أفرده بالتصنيف : الإمام عز الدين بن عبد السلام ، ولخصتُه مع زيادات كثيرة فى كتاب سميته " **مجاز الفرسان إلى مجاز القرآن** " [٥]

(٢) قال الشيخ ابن عثيمين – رحمه الله– :

وحجة هؤلاء يقولون : إن المجاز من أكبر علاماته صحة نفيه ، وليس فى كلام الله وكلام رسوله – ﷺ– الثابت عنه بلفظه احتمال للنفى ،لا يمكن أن تنفى كلام الله ، فقوله تعالى:﴿ يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ ﴾ فى الجدار ، لا يمكن أن نقول : لا ، لا يريد أن ينقض. [٦] ، ويَرُدُّ ابن عثيمين فيقول : ثم نقول لهم : أوليس الحجرُ قد هرب بثوب موسى ، فمن الذى أرغمه ، أو هو أراد ؟ الجواب : هو أراد ، ولهذا جعل موسى يضربه وينادیه : " ثوبى حجرُ " إذاً له إرادة وكذلك أيضاً نقول لهم : إن الله ﷻ يقول : ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ٤٤ ﴾ الإسراء: ٤٤

---

(١) انظر : ابن قيم الجوزية – مختصر الصواعق المرسلة – (٢٧١) ، وينظر : ابن عثيمين – هامش الأصول – (١١٩)

(٢) انظر : السيوطى – الإتقان – (٣٤٧)

(٣) انظر : ابن عثيمين – شرح نظم الورقات – (٥٠)

(٤) السيوطى – السابق – (٣٤٧)

(٥) نفسه – (٣٤٧)

(٦) ابن عثيمين – السابق – ص (٥٠ :٥١)

obeikandl.com

أيسبِّح بإرادة أو بغير إرادة ؟ لو كان بغير إرادة فلا مدح له ، ولا يُمدَح من يفعل بغير إرادة وها هو النبى ﷺ يقول : " أُحُدٌ جبلٌ يحبنا ونحبه " [١] ، لكن أهل المجاز يقولون فى الحديث : كيف ؟ لا يحبنا ولا نحبه ، لأنه حجر جماد ، كيف يُحِبُّ ؟! [٢]

ومن ثَمَّ يتضح لنا عدة أمور :

أولاً : والأمثلة على ذلك كثيرة منها قوله تعالى يأمر السماوات والأرض ﴿ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾ ﴾ فصلت: ١١

وقوله تعالى : ﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ الدخان: ٢٩

وقوله تعالى : ﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا ﴿٥﴾ ﴾ الزلزلة: ٤ – ٥

(ثانياً) : الذى أراه أقرب للصواب أن المجاز لا يوجد فى القرآن الكريم ، أو صحيح السنة المكرمة ، وذلك لما يلى :

(١) أن المجاز قد يتوصل به إلى معانى شرعية باطلة ، فقد تُوُصِّلَ به إلى نفى صفات الله ﷻ ، ولذلك سماه ابن القيم – رحمه الله – فى النونية " **الطاغوت** " ، لأنه استعمل لإبطال الحقائق الشرعية [٣]

(٢) أن ظاهر النصوص ما يتبادر منها إلى الذهن من المعانى ، وهو يختلف بحسب السياق وما يضاف إليه الكلام . [٤]

(٣) أن بعض العلماء وضع شروطاً بمثابة التعجيز لمن أراد أن يثبت المجاز ، من ذلك ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية فى **الرسالة المدنية** ، فعَدَّ أربعة شروط لمن أثبت ذلك فقال لسائله:

فقلت له : إذا وصف الله نفسه بصفة ، أو وصفه بها رسوله ، أو وصفه بها المؤمنون – الذين اتفق المسلمون على هدايتهم ودرايتهم – فصرفتها عن ظاهرها اللائق بجلال الله سبحانه، وحقيقتها المفهومة منها إلى باطن يخالف الظاهر، ومجاز ينافى الحقيقة ، لابد منه من أربعة أشياء:

أحدها: أن ذلك اللفظ مستعمل بالمعنى المجازى ،لأن الكتاب والسنة وكلام السلف جاء بلسان العرب، ولا يجوز أن يراد بشيء منه خلاف لسان العرب، أو خلاف الألسنة كلها ، فلابد أن يكون ذلك المعنى المجازى ما يراد به اللفظ وإلا فيمكن كلُّ مبطل أن يفسر أى لفظ بأى معنى سنح له وإن لم يكن له أصل فى اللغة

---

(١) أخرجه أحمد (١٢٥١٠) – والبخارى (٢٨٨٩)

(٢) ابن عثيمين – شرح نظم الورقات – ص (٥٩)

(٣) نفسه – ص (٦١)

(٤) ابن عثيمين – القواعد المثلى فى صفات الله وأسمائه الحسنى – ص (٤٥)

الثاني: أن يكون معه دليل يوجب صرف اللفظ عن حقيقته إلى مجازه ، وإلا فإذا كان يستعمل فى معنى بطريق الحقيقة ،وفي معنى بطريق المجاز ، لم يجُز حمله على المجازى بغير دليل يوجب الصرف بإجماع العقلاء.

الثالث: أنه لابد من أن يَسْلَم ذلك الدليل الصارف عن معارض ، وإلا فإذا قام دليل قرآنى أو إيمانى يبين أن الحقيقة مرادةٌ امتنع تركه ، ثم إن كان هذا الدليل نصاً قاطعاً لم يلتفت إلى نقيضه ، وإن كان ظاهراً فلا بد من الترجيح .

الرابع : أن الرسول ﷺ إذا تكلم بكلام ، أو أراد به خلاف ظاهره ، وضد حقيقته ، فلا بد أن يبين للأمة أنه لم يرد حقيقته ، وأنه أراد مجازه ، سواء عيّنه أو لم يُعَيِّنْه ، لا سيما فى الخطاب العلمى الذى أريد منهم فيه الاعتقاد والعلم دون الجوارح .[1]

(٥) أنواَع مختلف فى عدّها من المجاز :

يرى السيوطى – رحمه الله – أن هذه الأنواع ستة :

أحدها : الحذف : ، فالمشهور أنه من المجاز ، وأنكره بعضهم لأن المجاز استعمال اللفظ فى غير موضعه ، والحذف ليس كذلك .

وقال **ابن عطية** : حذف المضاف هو عين المجاز ، وليس كل حذف مجازاً

وقال **القرافى** : الحذف أربعة أقسام :

(أ) قسم يتوقف عليه صحة اللفظ ومعناه من حيث الإسناد ، نحو : ﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ ﴾ [يوسف /٨٢] ، أى : أهلها ، إذ لا يصح إسناد السؤال إليها .

(ب) وقسم يصح بدونه ، لكن يتوقف عليه شرعاً ، فقوله : ﴿ فمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ [البقرة / ١٨٤] ، أى : فأفطر فعدّة

(ج) وقسم يتوقف عليه عادةً لا شرعاً ، نحو : ﴿ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ ۖ فَانْفَلَقَ ﴾ [الشعراء / ٦٣] ، أى : فضربه

(د) وقسم يدل عليه دليل غير شرعى ولا هو عادة ، نحو:﴿ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ ﴾ [طه / ٩٦]

---

(١) انظر : ابن تيمية – الرسالة المدنية – دار الخلفاء الراشدين – مصر – ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م – (٣٤-٣٧) باختصار بسيط

والثانى : التأكيد ، زعم قوم أنه مجاز ، لأنه لا يفيد إلا ما أفاده الأول ، والصحيح أنه حقيقة ، قال **الطرطوسى** فى العمدة : ومن سماه مجازاً قلنا له : إذا كان التأكيد بلفظ الأول نحو : " عجّل عجّل " ونحوه ، فإن جاز أن يكون الثانى مجازاً جاز فى الأول ، لأنهما فى لفظ واحد ، وإذا بطل حَمْل الأول على المجاز بطل حمل الثانى عليه ، لأنه مثل الأول .

الثالث : التشبيه ، زعم قوم أنه مجاز ، والصحيح أنه حقيقة ، قال الزنجانى فى المعيار : لأنه معنى من المعانى ، وله ألفاظ تدل عليه وضعاً ، فليس فيه نقل اللفظ عن موضوعه .

الرابع : الكناية ، وفيها أربعة مذاهب

الخامس : التقديم والتأخير

السادس : الالتفات . [1]

(٦) فصل فيما يوصف بأنه حقيقة ومجاز باعتبارين :

يقول السيوطى – رحمه الله – : هو الموضوعات الشرعية : كالصلاة والزكاة والصوم والحج ، فإنها حقائق بالنظر إلى الشرع ، مجازات بالنظر إلى اللغة [2]

ولعل التفريق السابق باعتبارى الحقيقة والمجاز مداره على تعريف بعض العلماء للمجاز والحقيقة ، فها هو **الشرف العمريطى** – رحمه الله – فى (**نظم الورقات**) يقول فى **تعريف المجاز فى معرض الكلام عن أقسام الكلام :**

– وثالثاً إلى مجازٍ وإلى * حقيقة وحدُّها ما استعملا
– من ذاك فى موضوعه وقيل ما * يجرى خطاباً فى اصطلاح قُدِّما
– أقسامها ثلاثة شرعىّ * واللغوى الوضع والعرفىّ

ويشرح العلامة ابن عثيمين ذلك فيقول : قوله رحمه الله : حدّها : أى : حد الحقيقة

وقد اختلف العلماء فى تعريف الحقيقة ، فالذين قالوا : إن الكلام حقيقة ومجاز اختلفوا فى تعريف الحقيقة على قولين :

القول الأول : أن الحقيقة هى ما استعمل فى حدّه ، أو فى موضوعه الذى جرى عليه اصطلاح المتكلم .

والقول الثانى : أنها ما استعمل فى موضوعه الأصلى .

وبناءً على هذا القول– أى الثانى – فالحقيقة هى اللفظ المستعمل فى مدلوله لغةً بالموضوع الأصلى ، وبناءً عليه ، فهى لا تنقسم إلى حقيقة لغوية ، وعرفية ، وشرعية ، وإنما الحقيقة

---

(١) السيوطى – الإتقان – (٣٥٤ / ٣٥٥) باختصار

(٢) نفسه – (٣٥٥)

لغوية فقط ، فما استعمل فى موضوعه الأصلى فهو حقيقة ، وما استعمل فى غير موضوعه الأصلى فهو مجاز وهذا الذى عناه **السيوطى** – رحمه الله –

ويظهر أثر هذا الخلاف فى تعريف الصلاة ، فالصلاة : عبادة ذات أقوال وأفعال معلومة مفتتحة بالتكبير ، مختتمة بالتسليم ، إن قلنا بالقول الأول ، فالصلاة حقيقة لا مجاز فيها ، لأن الصلاة معناها فى اللغة : الدعاء فإن استعملتها فى الدعاء فهى حقيقة ، وإن استعملتها فى العبادة المعروفة كانت حقيقة أيضاً ، لأنك قصدت الحقيقة الشرعية ، ، والحقائق كما سبق ثلاثة.

وعلى القول الثانى ، فإذا أردنا بالصلاة الدعاء ، فالمعنى حقيقي ، وإن أردنا العبادة المعروفة فالمعنى مجازى [1] ، فهذان هما الاعتباران اللذان ربما قصدهما السيوطى

---

(٧) مجاز المجاز :

يقول السيوطى – رحمه الله – : وهو أن يجعل المجاز المأخوذ عن الحقيقة بمثابة الحقيقة بالنسبة إلى مجاز آخر ، فيتجوّز بالمجاز الأول عن الثانى لعلاقة بينهما كقوله تعالى :

﴿ وَلَكِنْ لا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرّاً ﴾ [البقرة / ٢٣٥] ، فإنه مجاز عن مجاز ، فإن الوطء تجوّز عنه بالسر لكونه لا يقع غالباً إلا فى السر ، وتجوّز به عن العقد ، لأنه مسّبب عنه ، فالمصحح للمجاز الأول الملازمة ، والثانى : السببية ، والمعنى : لا تواعدوهن عقد نكاح . [2]

(٨) نماذج تطبيقية للمجاز من السورة :

سبق أن بَيَّنْتُ أننى أميل إلى القول الذى لا يرى بالمجاز فى القرآن ، ولا ما صَحَّ من سنة النبى ﷺ ، بيد أن ذلك لا يمنع من بيان بعض النماذج التطبيقية نزولاً على القول الآخر ، فمن ذلك :

نماذج للمجاز العقلى : قوله تعالى : ﴿ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ﴾ [القصص / ٤] ، فهذا **مجاز عقلى أو إسنادى** ، ذلك لأن الفعل أسند إلى غير فاعله ، **والتقدير** : يذبّح جنودُه أبناءهم ويستحيون نساءهم .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ ﴾

مجاز عقلى ، والتقدير : أن يصيبهم الله بمصيبة .

نماذج للمجاز اللغوى المفرد المرسل :

---

(١) انظر : ابن عثيمين – شرح نظم الورقات – (٥١ –٥٢) باختصار وتصرف يسير

(٢) السيوطى – الإتقان – (٣٥٥) ، وانظر : د. مختار عطية – علم البيان – (١١١/ ١١٢)

obeikandi.com

قوله تعالى : ﴿ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ ﴾ [القصص / ٢٤]

مجاز مرسل علاقته اللزومية ، إذ إنه أطلق الملزوم على اللازم وهو الشجرة ، فلقد ثبت أنه جلس تحت سمرة ، قال القرطبى – رحمه الله – " ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ " إلى ظل سمرة ، قاله ابن مسعود (١)

قوله تعالى : ﴿ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا ﴾ [القصص / ٣٤]

مجاز مرسل علاقته الآلية ، حيث سمى الشىء باسم آلته ولعل التقدير : هو أفصح منى حجةً وبياناً أو لغةً .

قوله تعالى : ﴿ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ ﴾ [القصص / ٣٥]

مجاز مرسل علاقته الجزئية ، لأن مؤازرة هارون لموسى – عليهما السلام – لم تقف عند العضد وفقط ، بل شملت كل أنواع المؤازرة والتعاضد .

قوله تعالى : ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ ﴾ [القصص / ٥٨]

مجاز مرسل علاقته المحلية ، إذ أطلق المحلّ على الحالّ وهو أهل القرية ، وهذا مثل قوله تعالى : ﴿ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴾[العلق / ١٧] أى : أهل ناديه .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ ﴾ [القصص /٥٩]

مجاز مرسل علاقته المحلية ، أى : أهل القرى

ومثله : ﴿ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴾ [القصص /٥٩]

ويؤكد ذلك قوله فى نهاية الآية : ﴿ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴾ إذ مناط التنعيم والتعذيب على الأهل ، لا جدران القرية .

وقوله تعالى: ﴿ وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ ﴾ [القصص/٦٥]

مجاز مرسل علاقته المسببيّة ، أى : ناراً تسبب أو تحدث العذاب .

وقوله تعالى : ﴿ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴾ [القصص /٧١]

مجاز مرسل علاقته اللزومية ، إذ عّبر عن اللازم وهو النهار بالملزوم وهو الضياء .

أو أن علاقته السببية حتى عبّر بالمسبَّب وهو الضياء عن السبب وهو النهار .

قوله تعالى : ﴿ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ ﴾ [القصص / ٧٦]

---

(١) القرطبى – الجامع لأحكام القرآن – (٢١٦/١٣)

openkanon.com

قال السيوطى – رحمه الله – أنواع المجاز اللغوى :

التاسع عشر : القلب ، إما قلب إسناد ، نحو : ﴿ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ ﴾ [القصص/٧٦] ، أى : لتنوء العصبة بها ، قوله ﴿ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾ [الرعد /٣٨] ، أى : لكل كتاب أجل ، قوله :﴿ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ ﴾ [القصص /١٢] ، أى : حرّمناه على المراضع .(١)

ولعل ذلك – أى : القلب – لا يكون من باب المجاز ، لأن اللغة تسيغ ذلك دونما قلب ، قال القرطبى – رحمه الله– : ﴿ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ ﴾ أحسن ما قيل فيه أن المعنى لَتُثنئ العصبة ، أى : تميلهم بثقلها ، فلما انفتحت التاء دخلت الباء ، كما قالوا : هو يَذْهَبُ بالبؤس ، ويُذْهب البؤسَ .... وقال أبو عبيدة : قوله : ﴿ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ ﴾ مقلوب ، والمعنى : لتنوء بها العصبة ، أى : تنهض بها ... والأول معنى قول ابن عباس ، وأبى صالح السدى ، وهو قول الفراء ، واختاره النحاس ، كما يقال : ذهبت به وأذهبته ، وجئت به وأجأته ، ونؤت به وأنأته .(٢)

قوله تعالى : ﴿ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ﴾ [القصص / ٧٩]

مجاز مرسل علاقته الحالّية ، فعبّر بالحالّ وهو الزينة عن المحلّ هو اللباس والدواب المطهمة وغيرها من زينة الدنيا (٣) ، ذلك لأن الزينة تحلّ فيما سبق ، وهذا مثل قوله تعالى : ﴿ يأَيُّهَا الّذِينَ آمَنُوا خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلّ مَسْجِدٍ ﴾[الأعراف/٣١] أى: لباسكم لحلول الزينة فيه ، فالزينة حالٌ ، واللباس محلُّها (٤)

قوله تعالى :﴿ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنيَا ﴾ [القصص/٧٩]

مجاز مرسل علاقتة المحليّة ، والمعنى – والله أعلم– : قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ زينة الْحَيَاةِ الدُّنيَا ، دلّ على ذلك صدر الآية من قوله : " فِي زِينَتِهِ " ، فعبرّ عن الحالّ وهو الزينة بالمحلّ وهو الحياة الدنيا ، وبتعبير آخر عبّر بـ " الحياة الدنيا " وهى محل الزينة عما يحل به من أنواعها وضروبها .

---

(١) السيوطى – الإتقان – ص (٣٥٠)

(٢) القرطبى – الجامع لأحكام القرآن – (٢٤٩/١٣ – ٢٥٠) باختصار.

(٣) نفسه – (٢٥٣/١٣)

(٤) انظر : الهاشمى – جواهر البلاغة – ص (٢١)

المبحث الرابع
الكنـاية

(١) تعريف الكناية :

الكناية لغةً: (كَنَوَ) الْكَافُ وَالنُّونُ وَالْحَرْفُ الْمُعْتَلُّ يَدُلُّ عَلَى تَوْرِيَةٍ عَنِ اسْمٍ بِغَيْرِهِ. يُقَالُ: كَنَّيْتُ عَنْ كَذَا. إِذَا تَكَلَّمْتُ بِغَيْرِهِ مِمَّا يُسْتَدَلُّ بِهِ عَلَيْهِ. وَكَنَوْتُ أَيْضًا. وَمِمَّا يُوَضِّحُ هَذَا قَوْلُ الْقَائِلِ:

obeikandl.com

وَإِنِّي لَأَكْنُو عَنْ قَذُورَ بِغَيْرِهَا ... وَأُعْرِبُ أَحْيَانًا بِهَا فَأُصَارِحُ

أَلَا تَرَاهُ جَعْلَ الْكِنَايَةَ مُقَابِلَةً لِلْمُصَارَحَةِ. وَلِذَلِكَ تُسَمَّى الْكُنْيَةُ كُنْيَةً، كَأَنَّهَا تَوْرِيَةٌ عَنِ اسْمِهِ. وَفِي كِتَابِ الْخَلِيلِ أَنَّ الصَّوَابَ أَنْ يُقَالَ يُكْنَى بِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ، وَلَا يُقَالُ يُكَنَّى بِعَبْدِ اللَّهِ ، وَكُنَى الرُّؤْيَا هِيَ الْأَمْثَالُ الَّتِي يَضْرِبُهَا مَلَكُ الرُّؤْيَا، يَكْنِي بِهَا عَنْ أَعْيَانِ الْأُمُورِ. (١)

واصطلاحاً : " هي ترك التصريح بذكر الشيء على ما ذكر إلى ما يلزمه لينتقل من المذكور على المتروك كما نقول فلان طويل النجاد لينتقل منه على ما هو ملزوم وهو طول القامة وكما تقول فلانة نئوم الضحى لينتقل منه على ما هو ملزومه وهو كونها مخدومة غير محتاجة على السعي بنفسها في إصلاح المهمات وذلك أن وقت الضحى وقت سعي نساء العرب في أمر المعاش وكفاية أسبابه وتحصيل ما يحتاج إليه في تهيئة المتناولات وتدبير إصلاحها فلا تنام فيه من نسائهم إلا من تكون لها خدم ينوبون عنها في السعي " (٢)

قال السيوطى – رحمه الله– :

وعرفها **أهل البيان** بأنها لفظ أريد به لازم معناه .

وقال **الطيبىّ** : ترك التصريح بالشىء إلى ما يساويه فى اللزوم ، فينتقل منه إلى الملزوم . (٣)

(٢) أقسامها :

قسمها الهاشمى إلى قسمين باعتبارين مختلفين :

فقال : أولاً : باعتبار المعنى :

وتنقسم الكناية **بحسب المعنى** الذى تشير إليه إلى ثلاثة أقسام :

١– **كناية عن صفة** ، كما تقول : هو ربيب أبى الهول ، تكنى عن شدة كتمانه لسره ، وتُعرف كناية الصفة بذكر الموصوف ملفوظاً من سياق الكلام . وهى **نوعان : كناية قريبة** ، وهى ما يكون الانتقال فيها إلى المطلوب بغير واسطة بين المعني المنتقل عنه والمعنى المنتقل إليه .

وكناية بعيدة : وهى ما يكون الانتقال فيها إلى المطلوب بواسطة أو بوسائط .

٢– **كناية عن موصوف** : كما نقول : " **أبناء النيل** " تكنى عن المصريين ، و " **مدينة النور** " تكنى عن باريس ، وتعرف بذكر الصفة مباشرةً أو ملازمةً ، والكناية عن موصوف إما معنى واحد ، وإما مجموع معانٍ

---

(١) ابن فارس – مقاييس اللغة – كتاب الكاف والنون ومايثلثهما (كنو) – (٥ /١٣٩) .

(٢) السكاكى – مفتاح العلوم – (١ /٤٠٢) .

(٣) السيوطى – الإتقان – (٣٦٣)

obeikandl.com

٣ – **كناية عن نسبة** : وهى التى يُراد بها نسبةُ أمرٍ لآخر ، إثباتاً أو نفياً ، فيكون المكنى عنه نسبةً أُسندتْ إلى ما له اتصال به نحو قول الشاعر :

إن السماحة والمروءة والنَّدى	✸	فى قُبَّة ضُربتْ على ابن الحَشْرَجِ

وهذه الكناية تنقسم قسمين :

(أ) إما أن يكون ذو النسبة مذكوراً فيها .

(ب) وإما أن يكون ذو النسبة غير مذكور فيها

ثانياً : باعتبار الوسائط (اللوازم) والسياق :

يقول الهاشمى : " وتنقسم الكناية أيضا باعتبار الوسائط (اللوازم) والسياق إلى أربعة أقسام :

(أ) تعريض (ب) تلويح (ج) (رمز) (د) (إيماء) [1]

وأمّا الدكتور مختار عطية فنجده يقسم الكناية إلى ثلاثة أقسام ، لاعتبارات ثلاثة ، فيضيف اعتباراً جديداً ، وهو اعتبار الأثر ، فيقول :

تنقسم الكناية باعتباراتها المختلفة ثلاثة أقسام :

الأول : باعتبار الإجراء ، ويتفرع إلى ثلاثة فروع : **الأول** : كناية عن صفة (قريبة – بعيدة) ، والقريبة قد تكون (واضحة – خفية)

والفرع الثانى : كناية عن موصوف ، وهى من حيث الكناية (قريبة – بعيدة) ، ومن حيث الموصوف (معنى واحد – معانٍ متعددة) .

والفرع الثالث : كناية عن نسبة ، وتكون بتخصيص الصفة بالموصوف

أما القسم الثانى فباعتبار الأثر : ويتفرع إلى فرعين : **الأول** : ما يحسن استعماله ، **والثانى** : ما يقبح استعماله .

أما القسم الثالث فباعتبار الوسائط والسياق : ويتفرع إلى أربعة فروع (التعريض – التلويح – الرمز – الإشارة) [2]

(**قلت**) : ولعل هذه التقسيمات الكثيرة التى نعدها فى كتب البلاغة قد تشغل المتأمل الناظر فى بلاغة الجملة الكنائية ، فبدلاً من اهتمامه بالقيمة الإيحائية أو تعبيرية الكناية ، ينشغل باعتبارات التقسيم ، ثم الفرع الذى يندرج تحته ، هذه **واحدة** .

والأمر الثانى : بعض الأمثلة التى يَستدِّل بها المصنفون قد نلاحظ أنها تتنازع بين فرعين أو قسمين ، وهذا يدل على تداخل هذه الأقسام ، فمن ذلك :

---

(١) انظر : الهاشمى– جواهر البلاغة – ص (٢٥٤ – ٢٥٦) بتصرف

(٢) د. مختار عطية – علم البيان – ص (١٣١)

openkanal.com

يقول الهاشمى فى قسم الكناية عن موصوف

ومنها قولهم : "هو حارس على ماله " كَنُّوا به عن البخيل الذى يجمع ماله ، ولا ينتفع به أ.هـ

(**قلت**) : وقد يُكنى به عن البخل ، وبذلك يكون كناية عن صفة ويقول : " ومنها قولهم : " هو فتى رياضى " يكنون عن القوة وهلمّ جّرا .

(**قلت**) : وقوله : " يكنون عن القوة " ليس كناية عن موصوف ، بل كناية عن صفة . (١)

ويقول الهاشمى عن كلامه عن التلويح :

وما يَكُ فِيَّ من عيبٍ فإنّى	✹	جبانُ الكلب مهزولُ الفصيل

كنّى عن كرم الممدوح بكونه جبان الكلب ، مهزول الفصيل ، فإن الفكر ينتقل إلى جملة وسائط (٢)

وقد يقع هذا الكلام تحت قسم الكناية عن صفة ، وهى كناية بعيدة ،لأن الانتقال فيها إلى كرم الممدوح أتى من عدة وسائط

(٣) أسبابها :

ذكر السيوطى لها ستة أسباب فقال :

وللكناية أسباب : **أحدها** : التنبيه على عظم القدرة ، نحو:﴿ هُوَ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [الأعراف /١٨٩] ، كناية عن آدم .

ثانيها : ترك اللفظ إلى هو ما أجمل .

ثالثها : أن يكون التصريح مما يستقبح ذكره ، ككناية الله عن الجماع بالملامسة ، والمباشرة والإفضاء ، والرَّفث ، والدخول ، والسر فى قوله:﴿ وَلَكِنْ لا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرّاً ﴾ [البقرة /٢٣٥] ، والغِشيان فى قوله : ﴿ فَلَمَّا تَغَشَّاهَا ﴾ [الأعراف /١٨٩]

رابعها : قصد البلاغة والمبالغة ، نحو : ﴿ أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِى الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴾ [الزخرف /١٨] ، كنّى عن النساء بأنهن يُنشَّأن فى الترفه والتّزيُّن الشاغل عن النظر فى الأمور ودقيق المعانى ، ولو أتى بلفظ " النساء " لم يشعر بذلك ، والمراد نفى ذلك عن الملائكة

---

(١) انظر : الهاشمى – جواهر البلاغة – (٢٥٤)

(٢) نفسه – (٢٥٦)

obeikandi.com

خامسها : قصد الاختصار ، كالكناية عن ألفاظ متعددة بلفظ " فعل " نحو : ﴿ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ [المائدة /٧٩]

سادسها : التنبيه على مصيره ، نحو : ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ ﴾ [المسد /١] أى : جهنمى مصيره جهنم [١]

(٤) محاسنها وبلاغتها :

يقول المراغى : " الكناية تكون حسنة إن جمعت بين الفائدة ولطف الإشارة ، كما تقدم لك من الأمثلة، وقبيحة إذا خلت مما ذكر، كقول الشريف الرضي يرثي امرأة:

إن لم تكن نصلاً فغمد نصال

فهذا من رديء الكنايات، إذ هذا لا يفيد ما قصده من المعنى، بل ربما جر إلى ما يقبح من تهمتها بالريبة ، ونحوه قول أبي الطيب:

إني على شغفي بما في خمرها ... لأعف عما في سراويلاتها

قال ابن الأثير: فهذه كناية عن النزاهة والعفة، إلا أن الفجور أحسن منها، وما ذاك إلا من سوء تأليفها وقبح تركيبها، وقد أجاد الشريف فيما زلت فيه قدم أبي الطيب فجاء به على وصف حسن وقالب عجيب حيث قال:

أحن إلى ما يضمن الخمر والحلى ... وأصدف عما في ضمان المآزر " [٢]

والكناية من ألطف أساليب البلاغة وأدقها ، وهى أبلغ من الحقيقة والتصريح ، لأن الانتقال فيها يكون من الملزوم إلى اللازم ، فهو كالدعوى ببينة ، فكأنك تقول في " زيد كثير الرماد " زيد كريم ، لأنه كثير الرماد ، وكثرته تستلزم كذا إلخ .[٣]

ويقول الدكتور مختار عطية :

تحقق الكناية فى الكلام ما لا يحققه التحدث بموضوع اللفظ فى اللغة وحقائق الخطاب ، ومن ثَمَّ فهى تحرز محاسن كثيرة تخصها عن غيرها ، وتجعل لجوء المتكلم أو المبدع إليها دون غيرها ضرورة تدعو إليها غايات الخطاب ومرادات السياق ، ومن ذلك :

(أ) المبالغة فى الوصف **(ب)** إحراز مزية عن التصريح

(ج) إبراز المعقولات فى صورة المجسمات

(د) تحقيق الفصاحة [١]

---

(١) انظر: السيوطى – الإتقان – (٣٦٣ – ٣٦٤) وانظر: معترك الأقران (١ / ٢١٦ :٢١٩) باختصار

(٢) المراغى – علوم البلاغة – (١ /٣٠٧) .

(٣) الهاشمى – جواهر البلاغة – (٢٥٦)

(٥) هل الكناية تقع فى القرآن الكريم ؟

قال السيوطى : " وأنكر وقوعها فى القرآن مَنْ أنكر المجاز فيه ، بناءً على أنها مجاز ، وقد تقدم الخلاف فى ذلك . [٢]

(٦) الفرق بين الكناية والإرداف :

من أنواع البديع التى تشبه الكناية الإرداف ، وهو أن يريد المتكلم معنى ، ولا يعبّر عنه بلفظه الموضوع له ، ولا بدلالة الإشارة ، بل بلفظ يُرادفه كقوله تعالى : ﴿ وَقُضِيَ الأَمْرُ ﴾ [هود /٤٤] ، والأصل : وهلك من قضى الله هلاكه ، ونجا من قضى الله نجاته ، وعُدِل عن ذلك إلى لفظ الإرداف لما فيه من الإيجاز ، وكذا قوله : ﴿ وَاسْتَوَتْ عَلَى الجُودِيِّ ﴾ [هود /٤٤] ، حقيقة ذلك " جلست " ، فَعُدِل عن اللفظ الخاص بالمعنى إلى مرادفه ، لما فى الاستواء من الإشعار بجلوس متمكّن لا زَيْغَ فيه ولا ميل ، وهذا لا يحصل من لفظ " الجلوس " ، قال بعضهم : والفرق بين الكناية والإرداف ، أن **الكناية** انتقال من لازم إلى ملزوم ، **والإرداف** : من مذكور إلى متروك ، ومن أمثلته أيضاً : ﴿ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴾ [النجم /٣١] ، عدل فى الجملة الأولى عن قوله : " السوء " مع أن فيه مطابقة للجملة الثانية إلى " بِمَا عَمِلُوا " [٣]

(٧) الفرق بين الكناية والتعريض :

قال السيوطى : للناس فى الفرق بين **الكناية والتعريض** عبارات متقاربة .

فقال الزمخشرى : **الكناية** ذكر الشىء بغير لفظه الموضوع له ، **والتعريض** أن تذكر شيئاً تدل به على شىء لم تذكره .

وقال ابن الأثير : **الكناية** ما دلّ على معنى يجوز حمله على الحقيقة والمجاز .

والتعريض اللفظ الدال على معنى لا من جهة الوضع الحقيقى أو المجازى ، كقول من يتوقع صلةً : والله إنى محتاج ، فإنه تعريض بالطلب ، مع أنه لم يوضع له حقيقة ولا مجازاً ، وإنما فهم من عُرْض اللفظ ، أى : جانبه وقال السبكى : فى كتاب " الإغريض فى الفرق بين الكناية والتعريض "

---

(١) د. مختار عطية – علم البيان – (١٤٨ – ١٤٩) مختصراً

(٢) السيوطى – الإتقان – (٣٦٣)

(٣) السيوطى – نفسه– (٣٦٥) باختصار – وانظر : معترك الأقران (١ / ٢١٩ : ٢٢٠) .

obeikandl.com

الكناية : لفظ استُعمل فى معناه مراداً منه لازم المعنى ... وأما **التعريض** : فهو لفظ استعمل فى معناه للتلويح بغيره ، نحو : ﴿ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا ﴾ [الأنبياء/٦٣] ، نسب الفعل إلى كبير الأصنام المتخذة آلهة ، كأن غضب أن تعبد هذه الصغار معه [١]

قال ابن النقيب مميزاً بين الكناية والتعريض : وسنورد أيها الناظر فى كتابنا هذا فرقاً بين الكناية والتعريض ، ونميّز أحدهما عن الآخر ، فنقول ، وبالله التوفيق :

إن **الكناية** هى أن يذكر الشىء بغير لفظه الموضوع له ، كما كنى الله ﷻ عن الجماع بالمس ، فإن حقيقة المس هى الملامسة ، يقال : مسست الشىء ، إذا لمسته ، ولما كان الجماع ملامسة بالأبدان وزيادة أمر آخر أطلق عليه اسم المس مجازاً ، وضد الكناية التصريح

وأما **التعريض** : فهو أن يذكر شيئاً يدل به على شىء لم يذكر ، وأصله التلويح من عُرْض الشىء وهو جانبه [٢]

(٨) نماذج تطبيقية للكناية من السورة :

قوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي **الأَرْضِ** ﴾[القصص/٤]

وقوله تعالى : ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي **الأَرْضِ** ﴾ [القصص/٥]

وقوله تعالى : ﴿ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي **الأَرْضِ** ﴾ [القصص/٦]

فنلاحظ أن لفظ "**الأرض**" ذكر ثلاث مرات فى صدر السورة ، وهو كناية عن موصوف وهو "مصر".

القيمة الإيحائية للكناية : استخدام لفظ " الأرض" أقوى وأنجع فى النفس من استخدام لفظ "مصر" ،لأنه كما قال علماء اللغة إن من معانى "أل" أنها تكون للاستغراق باعتبار صفات الأفراد ، كما ذكر ابن هشام [٣] ، وعليه فالمعنى أن فرعون علا فى الأرض، أى البلد الجامعة للقوة والمنعة ، وطيب الأرض والعيش.... إلخ هذه المعانى ، وهذا ما لا يؤديه لفظ " مصر "

قوله تعالى : ﴿ لا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاء ﴾ [القصص/٢٣]

فى الآية كناية عن قلة مروءة الرعاة ، وشدة ضُعفة المرأتين

* **القيمة الإيحائية** : أفادت هذه الكناية عظيم خلقهما ، وشديد أدبهما وسعة حلمهما ، لأن حالهما يسوِّغ لهما التصريح ولكنهما لم تفعلا

---

(١) السيوطى – السابق (٣٦٥) باختصار – وانظر : معترك الأقران (١ / ٢٢٠ : ٢٢١) .

(٢) انظر: ابن النقيب – مقدمة تفسير ابن النقيب (٢٧٦)

(٣) انظر : ابن هشام – قطر الندى – (١٠٩)

وقوله تعالى : ﴿ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾ [القصص/٢٣]

فى الآية كناية على ضعفة الأب وعدم تقصيره ، وهذا من الاعتذار له

* **القيمة الإيحائية** : أفادت الكناية حسن عشرة المرأتين ، ولين جانبهما .

قوله تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ [القصص/٢٤]

فى الآية كناية عن شدة الجهد ، وكثير العناء الذى لاقاه موسى عليه السلام حتى سقط نعل قدميه ، وإن بطنه للاصق بظهره من الجوع ، وإن خضرة البقل لترى من داخل جوفه(١)

* **القيمة الإيحائية** : أفادت الكناية شدة تأدب موسى عليه السلام مع ربه ، إذ سأله بحاله واستغنى عن مقاله .

قوله تعالى : ﴿ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ ﴾ [القصص/٤٠]

فى الآية كناية على حقارتهم ومهانتهم وعظم جرمهم .

* **القيمة الإيحائية** : الكناية أفادت عظم بطش الله – ﷻ – بالمتكبرين الطغاة ، مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴿٨٤﴾ ﴾ النساء: ٨٤

قوله تعالى : ﴿ فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [القصص/٥٨]

فى الآية كناية عن عظم الخراب الذى حلّ بديارهم ، وهذا يستلزم شدة العقوبة التى وقعت بهم ، وهذا لازم معنى الكناية

* **القيمة الإيحائية** : يقال فيها ما قيل فى الآية السابقة .

قوله تعالى : ﴿ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ ﴾ [القصص/٧٦]

فى الآية كناية عن عظم وتنوع الكنوز والأموال ، ولو عُدِل عن الكناية إلى التصريح لطال الكلام.

* **القيمة الإيحائية** : أفادت الكناية اختصاراً كبيراً ، يقصِّر التصريح دونه .

---

(١) ابن كثير – تفسيرالقرآن العظيم (٣٩٧/٣)

obeikandl.com